فتح المنان في شرح ما اتفق عليه الشيخان

بقلم الدكتور

محمد محمود أحمد هاشم

أستاذ الحديث وعلومه

عميد كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

الجـــزء الثـــالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور

محمد محمود أحمد هاشم

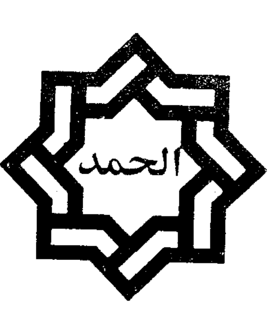
أستاذ الحديث وعلومه

عميد كلية أصول الدين والدعوة

بالزقازيق

فتح المنان فى شرح ما أتفق عليه الشيخان

المقدمة



لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،،،

فبحمد الله وتوفيقه أقدم الجزء الثالث من الموسوعة الحديثية التى أشرف فيها بشرح الأحاديث التى أتفق عليها

الشيخان، وهي تأتي في المرتبة الأولى من مراتب الصحة ، فهي تعتبر أصح أحاديث في سنة الرسول ﷺ.

وكان السبب في إصدار هذا الجزء في هذا الوقت السيد الأستاذ الدكتور الوزير/ محافظ الشرقية الدكتور/ حامد شتلة، عندما كان يتحدث في إحدى القاعات وذكر حديث الإسراء والمعراج الذي فيه رواية أن الله خلق في الجنة أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان، فأما الظاهران فهما النيل والفرات ... وسألني عن صحة هذا الحديث، فأجبته بأن الحديث مذكور في الصحيح لكن رواية النيل والفرات أعتقد أنها ضعيفة لأني لم أقرأها في الصحيح قبل ذلك، ولأني سمعت من العلماء من قبل أنها ضعيفة، وفي زيارة لي بعد ذلك لسيادته أخبرني بأن هذا الحديث في البخاري ومسلم، فعدت إلى المراجع فوجدت الحديث صحيحا ومذكورا في الصحيحين "البخاري ومسلم" فأردت أن أصحح خطأي وأقدم هذا الجزء من الكتاب الذي يبدأ بأحاديث الإسراء وينتهي بنهاية كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الأستبراء منه.

وليكون هذا الجزء هدية إلى السيد الأستاذ الدكتور/ حامد شتلة محافظ الشرقية.

الذى جعله الله سببا فى إيقاظ همتى وعزيمتى فى استكمال هـذه الموسوعة الحديثة التى أرجو من الله أن تكون عملا خالصـا بوجهـه تعالى.

المـؤلف

الحديث الأول

أولا : رواية البخاري

١٠٣- حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدرى ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح . قال من هذا قال هذا جبريل . قال هل معك أحد قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم . فقال أرسل إليه قال نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل يساره بكى ، فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم . وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التى عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، حتى عرج بى إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح » . قال أنس فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم - صلوات الله عليهم - ولم يثبت كيف منازلهم ، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا ، وإبراهيم فى السماء السادسة .

قال أنس فلما مر جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح . فقلت من هذا قال هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت من هذا قال هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح . قلت من هذا قال هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت من هذا قال هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم » . قال ابن شهاب فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان قال النبى صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » . قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبى صلى الله عليه وسلم « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك قلت فرض خمسين صلاة . قال فارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها . فقال راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته . فقال هى خمس وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى . فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك . فقلت استحييت من ربى . ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان

لا أدرى ما هى ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك »[1]

[1] خ/ك الصلاة ، ب كيف فرضت الصلاة فى الإسراء.

ثانيا : رواية مسلم

١٠٣- وحدثنى حرملة بن يحيى التجيبى أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فرج سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء فلما جئنا السماء قال جبريل - عليه السلام - لخازن السماء الدنيا افتح . قال من هذا قال هذا جبريل . قال هل معك أحد قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم . قال فأرسل إليه قال نعم ففتح - قال - فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة - قال - فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى - قال - فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح - قال - قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى - قال - ثم عرج بى جبريل حتى أتى السماء الثانية . فقال لخازنها افتح - قال - فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح » . فقال أنس بن مالك فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى

وإبراهيم - صلوات الله عليهم أجمعين - ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم - عليه السلام - فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة . قال « فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس - صلوات الله عليه - قال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح - قال - ثم مر فقلت من هذا فقال هذا إدريس - قال - ثم مررت بموسى - عليه السلام - فقال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح - قال - قلت من هذا قال هذا موسى - قال - ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت من هذا قال عيسى ابن مريم - قال - ثم مررت بإبراهيم - عليه السلام - فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح - قال - قلت من هذا قال هذا إبراهيم » . قال ابن شهاب وأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » . قال ابن حزم و أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة - قال - فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام ماذا فرض ربك على أمتك - قال - قلت فرض عليهم خمسين صلاة . قال لى موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك - قال - فراجعت ربى فوضع شطرها - قال - فرجعت إلى موسى - عليه السلام - فأخبرته قال راجع ربك فإن أمتك

لا تطيق ذلك - قال - فراجعت ربى فقال هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدى - قال - فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك . فقلت قد استحييت من ربى - قال - ثم انطلق بى جبريل حتى نأتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ما هى - قال - ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » [1].

[1] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٢).

الراوي الأعلى

أبو ذر الغفاري ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الثانى ص٥٢ من فتح المنان.

اسمه جندب بن جنادة على الأصح وقيل برير واختلف في أبيه فقيل جندب
أو عشرقة أو عبد الله تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرا ومناقبه
كثيرة جدا مات سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان.

معانى المفردات

فرج: فتح والفرجه بالغم فرجة الحائط وما أشبه يقال بينهما فرجـــه أى انفراج.

ففرج: شق صدرى وهذه الحادثة تكررت حوالى أربع مرات.

أسودة: أشخاص وأسودة جمع سواد كأزمنة جمع زمان.

قبـــل : جهة.

نســـم: جمع نسمة وهى نفس الروح.

ظهرت: علوت.

لمستوى: أى موضع مشرف يستوى عليه وهو المصعد اللام فيه للعلـــه أى علون لاستعلاء مستوى.

صريف الاقلام: تصويتها حالة كتابة الملائكة ما يقضيه الله تعالى ممـــا تنسخه من اللوح المحفوظ .

سدرة المنتهى: السدر شجر النبق وسدرة المنتهى شجرة أقصى الجنـــة إليها ينهى علم الأولين والأخرين ولا يتعداها.

حبايل: ذكر غير واحد من الأئمة أنه تصحيف وإنما هى جنـــابذ وهـــى القباب وحدتمها جنبذة.

وإذا ترابها المسك: أى تراب الجنة رائحته كرائحة المسك.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يتعلق بمعجزة الإسراء والمعراج والإسـراء والمعراج معجزتان لسيدنا رسول الله ﷺ وذلك بعد عام من الـهجرة قضاه رسول الله ﷺ بعد فقده عمه أبو طالب وزوجته السيدة خديجـة رضي الله عنها فاشتد إيذاء كفار مكة له وخرج الرسول ﷺ إلى الطائف لعلـهم يجد صدى الدعوة وقبولا ولكنه وجد أن أهل الطائف أكثر سفهاء وأشـد غلظة من أهل مكة فعاد من رحلته حزينا مناجيا لربه خائفا أن يكـون قصد في تبليغ رسالته وأن ذلك بسبب غضب الله تبارك وتعالى عليـه فدعا ربه بدعائه المؤثور أن لم يكن بك غضب على فى فلا أبا لى :ألخ وعاد إلى مكة حزينا مهموما مستجابت السماء لدعائـه ﷺ وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين له أن كانت ضاقت بك الأرض فأن السماء تفتح إليك أبوابها وأن كان الخلق قد غضبوا عليك فأن رب الخلق قد رضـى عنك و انتفاضة فى رحلتين عظيمتين الأولى وهى رحلة الإسراء هـى الانتقال ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم رحله المعـراج وهى الانتقال من المسجد الأقصى إلى الموات العلمى إلى سدرة المنتهى وقبل هذه الرحلة لا بد من تجهيز نفسى وبدنى وإعداد يتلاءم مع مقـام الرحلة فكان هذا الإعداد يشق الصدر الشريف وغسله بماء زمزم ملـئ بالحكمة الإيمان وحادثه مشق الصدر قد تكورت أكثر من أربعة مـرات لسيدنا ﷺ فمرة وهو صغير ومرة قبل البلوغ ومرة قبل الوحى ومـرة

قبل الإسراء والمعراج وقيل أن هناك مرة خامسة قبل الهجرة وقبل غير ذلك فقد يختلف كثير من الناس على العدد ولكن ينفق الجميع على أن شق الصدر ثبت بنص القرآن الكريم قال تعالى ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[١] وأيضا بنص السنة النبوية كما جاء الأحاديث الشريفة والتى نحن يصددها وبعد شق الصدر بدأت الرحلة وقبل أن نبدأ فى شرح الحديث، أحب أن أبين أن بعض العلماء أختلف فى توقيت الإسراء والمعراج وكلن الرأى الراجح أن الإسراء والمعراج وقع لسيدنا رسول الله ﷺ فى ليلة السابع والعشرين من شهد رجب قبل الهجرة بحوالى سنة ونصف.

والبعض يختلف فى وقوع الإسراء والمعراج هل وقع مناما أو يقظا وهل كان الإسراء والمعراج بالروح فقط أم بالروح والجسد.

والراجح أن الإسراء والمعراج كدنا بالروح والجسد لأنها لو كانت رؤية منا فيه لما كانت معجزة ولما أختلف عليها الناس ولما أذكرها الناس ومن يرى أنها كانت رؤية يستند إلى قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك﴾[٢] ويمكن التوفيق بين هذا الرأى والرأى الأول وذلك بأن الإسراء والمعراج حدث أولا رؤية منامية ثم كانت الرحلة الحقيقية وذلك لكى لا يهاب الرسول ﷺ الرحلة وهذا ما أميل

---

[١] سورة الشرح آية ١

[٢] سورة الإسراء آية ٦٠

إليه وأيضا يمكن الرد على هذا الرأى بأن الرؤية هنا رؤية بصرية وليست رؤية منامية.

ورحلة الإسراء قد تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة الإسراء ورحلة المعراج قد تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة النجم.

فقد كان رحلة الإسراء إلى المسجد الأقصى أوصى الله الأنبياء السابقين فى هذه الليلة نيأتموا برسول الله ﷺ مصداقا لقوله ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾[1] ثم عرج برسول الله ﷺ إلى السماوات العلا والراجح أنه نصب له معراجا عرج عليه ولم يعرج بالبراق.

قال العلائى فى تفسيره أنه كان للنبى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء خمسة مراكب الأول البراق إلى بيت المقدس والثانى المعراج منه إلى السماء الدنيا والثالث أجنحة الملائكة منها إلى السماء السابقة والرابع جناح جبريل عليه السلام منها إلى سدرة المنتهى والخامس الرفرف منها إلى قاب قوسين.

ولعل الحكمة فى الركوب إظهار الكرامة وإلا فالله سبحان وتعالى قادر على أن يوصله إلى أى موضع أراد فى أقل مرحلة فيه وقيل لم يكن إلا البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والمعراج منه إلى حيث شاء الله تعالى وقد كان له عشر مراق سبعة إلى السموات[2]

---

[1] سورة آل عمران آية ٨١

[2] لأنها سبع سموات.

والثانى إلى السدرة والتاسع إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام والعاشر إلى العرش والله تعالى أعلم[1].

وقد صعد ﷺ إلى السموات وقابل الأنبياء الذين أحياهم الله سبحانه وتعالى وأقامهم فى السموات ففى السماء الأولى وجد سيدنا آدم عليه السلام وفى السماء الثانية وجد سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا يحيى ابن زكريا وفى الثالثة وجد سيدنا يوسف عليه السلام وقد أعطاه الله نصف الحسن والجمال الذى خلقه الله فى الدنيا وفى السماء الرابعة وجد سيدنا إدريس عليه السلام وفى الخامسة وجد سيدنا هارون عليه السلام وفى السادسة وجد سيدنا موسى عليه السلام وفى السابعة وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور بالملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف تلك يعبدون الله فيه ثم لا يعبدون إليه مرة أخرى وهو فى السماء السابعة وتحته فى الأرض الكعبة المشرفة.

ثم ذهب جبريل بسيدنا رسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى وهى شجرة فى أخر الجنة عظيمة فى ورقيها وثمرها ينتهى عندها علم الأولين والأخرين ولا يتعداها أحد من الخلق.

ثم شرف النبى ﷺ وأرتفع إلى موضع شرف آخر فوق سدرة المنتهى إلى موضع يسمع فيه صوت الأقلام والملائكة تكتب بها ما يأمرها رب العزة به من قضائه وقدره وما يكتبه على خلقه ولهم فى

---

(1) راجع تفسير روح المعانى.

اللوح المحفوظ ثم أرتقى إلى موضع أعلى من ذلك موضع لم يصله ملك ولا نبى مرسل قبله أرتفع إلى رب العزة إلى عرش القدرة الإلهية وفى هذه الحالة فارق جبريل عليه السلام لأنه لم يستطع أن يصل إلى هذه المكانة وكما ورد على لسانه (لو تقدمت لاحترقت أما أنت إذا تقدمت اخترقت) وهذا يثبت أن رسول الله ﷺ خلق من نور رب العزة سبحانه وتعالى لأن جبريل عليه السلام وهو مخلوق من نور لم يستطع أن يتحمل أنوار الذات العليا ولكن سيدنا رسول الله ﷺ تحملها وفرض الله سبحانه وتعالى عليه الصلاة فى هذه الليلة تكريما لأمته ومحرابا روحيا لها.

فكما شرف بالخروج إليه شرف أمته بالقرب إليه بالصلاة ففيها القيام ثم الركوع ثم السجود ﴿واسجد واقترب﴾[1].

وأول ما فرضت الصلاة فرضت خمسين صلاة فى اليوم ثم رجع الرسول ﷺ فسأله سيدنا موسى عن ما فرض على أمته فأخبره خمسين صلاة فقال له أرجع إلى ربك فقل له التخفيف فرجع إلى ربه وسأله التخفيف وظل بين موسى وربه إلى أن خففت إلى خمس صلوات فى اليوم لله ولكنها خمسين فى الأجر والثواب وهذا هو مرجع الحسنة بعشر أمثالها فقد كان فى هذه الليلة وكان سبب فرضية الصلاة.

---

[1] سورة القلم آية ١٩٥

وقد قال العلماء فى موقف سيدنا موسى من رسـول الله وطلبه الرجوع إلى رب العزة مرات عديدة.

أن موسى طلب رؤية رب العزة فلح ولم يجب ولكن الرسول ﷺ دعى إلى ذلك وتملى بالأنوار القديسة وانعكست عليه هـذه الأنـوار وغشيته فطلب منه موسى العودة مرة ثانية وثالثة ألخ ليستمتع بـأنوار الذات العيا التى غشيت سيدنا رسول الله ﷺ فى هذه الليلة على حـد قوله القائل لعلى أراهم أو أرى من يراهم.

ثم عاد رسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى المكان الذى بدأ منه زيادة الذات العليا وأدخل الجنة فإذا هى من العظمـة والفخامـة فـوق التصور والإدراك فالقباب فيها من اللؤلؤ وترابها من المسك وإذا كـان كذلك فما بالك بباقى ما فى الجنة.

وفى نهاية الشرح لهذا الحديث أحب أن أبين أن رسـول الله ﷺ رأى هذه المرائى بمقياس الأخرة وليس بمقياس الدنيا فقد خـرج ﷺ على هذه الليلة من دائرة الزمان والمكان وكانت الرحلة بمقاييس الآخرة وليست بمقاييس الحياة الدنيا فلا يعترض على شيئ من هـذه المرائى.

المباحث الفقهية

ومنها أن قوما استدلوا بالنقض على أنه يجوز نسخ العبادة قبل العمل بها وأنكر أبو جعفر النحاس هذا القول من وجهين:

- أحدهما: البناء على أصله ومذهبه فى أن العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لأن ذلك عنده من البداء والبداء على الله سبحانه وتعالى - محال.
- الثانى: أن العبادة، وإن جاز نسخها قبل العمل بها عند من يراه فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها إلى الأرض ووصولها إلى المخاطبين قال: وإنما أدعى النسخ فيها القاشانى ليصحح بذلك مذهبه فى أن البيان لا يتأخر قال أبو جعفر: وهذا إنما هى شفاعة شفعها رسول الله - ﷺ - لأمته ومراجعة راجعها به ليخفف عن أمته ولا يسمى نسخا، وقال الهيلى: قول أبى جعفر، وذلك بداء ليس بصحيح لأن حقيقة البداء أن يبدو للأمر رأى يتبين الصواب فيه بعد إن لم يكن تبين، وهذا محال فى حق الله - تعالى - والذى يظهر أنه نسخ ما وجب على النبى - ﷺ - من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب وهذا نسخ على الحقيقة — نسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان فى كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به ومراجعته وشفاعته لا تنفى النسخ فإن النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته — ﷺ - كان سببا للنسخ لا مبطلة كحقيقة، ولكن

المنسوخ ما ذكرناه من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ، وحكم الصلوات فى خاصته وأما أمته فلم ينسخ عنه حكم إذ لا يتصور نسخ الحكم قبل وصوله إلى المأمور والوجه الثانى أن يكون هذا خبرا لا تبعدا فإذا كان خبرا لا يدخله النسخ ومعنى الخبر أنه ﷺ أخبره ربه أن على أمته خمسين صلاة ومعناه أنها فى اللوح المحفوظ خمسون فتأولها ﷺ على أنها خمسون بالفعل فبينها أمر ربه تعالى — عند مراجعته أنها فى الثواب لا فى العمل، ومنها وجوب الصلوات الخمس والباب معقود لهذا وقال ابن بطال: أجمعوا على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، وقال ابن إسحاق ثم إن جبريل عليه السلام أتى فهمز بعقبه فى ناحية الوادى فانفجرت عين ماء مزن فتوضأ جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ ينظر فرجع رسول الله ﷺ فأخذ بيد خديجة رضى الله عنها، ثم أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل عليه السلام ثم صلى هو خديجة ركعتين كما صلى جبريل عليه السلام، وقال نافع بن جبير: أصبح ﷺ ليلة الإسراء فنزل جبريل حين زاغت الشمس فصلى به وقال جماعة لم تكن صلاة مفروضة قبلها إلا ما كان أمر به من قيام الليل من غير تحديد ركعات ووقت حضور وكان يقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه، ومنها أن أرواح المؤمنين يصعد بها إلى السماء، ومنها أن أعمال بنى آدم الصالحة بشر وأعمالهم السيئة تسوء، ومنها أنه يجب أن يرحب بكل

أحد من الناس فى حين لقائه بإكرام النازل وأن يلاقيه بأحسن صفاته وأعمها الثناء عليه، ومنها أن أوامر الله تعالى – تكتب بأقلام شتى وأن العلم ينبغى أن يكتب بأقلام كثيرة تلك سنة الله فى سماواته فكيف فى أرضه، ومنها أن ما قضاه وأحكمه من آثار معلومة وأجال مكتوبة وشبه ذلك بما لا يبدل لديه وأما ما نسخه رفقا لعبادة فهو الذى قال فيه: (يمحوا الله ما يشاء ويثبت)[١] [٢].

مقصود البخارى الرد على حنفية حيث صححوا صلاة من أحدث فى الجلسة الأخيرة وقالوا أن التحلل يحصل بكل ما يضاد الصلاة فهم متحيلون فى صحة الصلاة مع وجود الحدث ووجه الرد أنه محدث فى الصلاة فلا تصح لأن التحلل منها ركن فيها لحديث وتحليلها التسليم كما أن التحريم بالتكبير ركن منها وحيث قالوا المحدث فى الصلاة يتوضأ ويبنى وحيث حكموا بصحتها عند عدم النية فى الوضوء بصلة أنه ليس بعبادة انتهى وقال ابن المنير أشار البخارى بهذه الترجمة إلى رد قول من قال بصحة صلاة من أحدث عمدا فى أثناء الجلوس الأخير ويكون حدثه كسلامة بأن ذلك من الحيل لتصحيح الصلاة مع الحدث انتهى وقال ابن بطال فيه رد على من قال أن من أحدث فى القعدة الأخيرة أن صلاته صحيحة انتهى وقيل التحريم يقابله التسليم لحديث تحريمها

---

[١] عمرة القارئ/ ٤٨.

[٢] سورة الرعد آية ٣٩.

التكبير وتحليلها التسليم فإذا كان أحد الطرفين ركنا كان الطرف الآخر ركنا قلت لا مطابقة بين الحديث والترجمة اصلا فإنه لا يدل أصلا على شئ من الحيل وقول الكرمانى فهم متحيلون فى صحة الصلاة مع وجود الحدث كلام مردود غير مقبول اصلا لأن الحنفية ما صححوا صلاة من أحد فى القعدة الأخيرة بالحيلة وما الحيلة وما للحيلة دخل أصلا فى هذا بل حكموا بذلك بقوله ﷺ لابن مسعود ﷺ إذا قلت هذا أو فعلت هذا فقد تمت صلاتك رواه أبو داود فى سننه ولفظه إذا قلت هذا وقضيت هذا فقد قضيت صلاتك إن شئت أن تقوم وأن شئت أن تقعد فاقعد ورواه أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه وهذا ينافى فرضية السلام فى الصلاة لأنه ﷺ خير المصلى بعد القعود بقوله إن شئت أن تقوم إلى آخره وهو حجة على الشافعى فى قوله السلام فرض وما حملهم على هذا الكلام الساقط الإفرط تعصبهم الباطل وقوله وجه الرد أنه محدث فى صلاته فلا تصح غير صحيح لما ذكرنا بل فرضيته بقوله تعالى (وربك فكبر) والمراد به فى الصلاة إذ لا يجب خارج الصلاة بإجماع أهل التفسير ولا مكن يجب فيه إلا فى افتتاح الصلاة وقوله بعله أنه ليس بعبادة كلام قط أيضا لأن الحنفية لم يقولوا أن الوضوء ليس بعبادة مطلقا بل قالوا أنه عبادة غير مستقلة بذاتها بل هو وسيلة إلى إقامة الصلاة وقول ابن المنير أيضا بأن ذلك من الحيل لتصحيح الصلاة مردود كما ذكرنا وجهه وقول ابن بطال فيه رد الخ كذلك مردود لأن

الحديث لا يدل على ما قاله قطعا وقول من قال فإذا كان أحد الطرفين ركنا كان الطرف الآخر ركنا غير سديد ولا موجه أصلا لعدم استلزام ذلك على ما لا يخفى.

ما يستفاد من الحديث

١- بيان منزلة الرسول ﷺ وأنه فاق الأولين والآخرين والملائكة والأنبياء أجمعين وفى هذا رد على من يقول بأنه ﷺ بشر مثلنا ويقف على ﷺ ولا يتعداها إلى قوله ﴿يوحى إليه﴾

٢- الإسراء والمعراج معجزتان لسيدنا رسول الله ﷺ بنص القرآن الكريم والسنة النبوية وكانتا بالروح والجسد.

٣- شق الصدر لسيدنا رسول الله ﷺ حدث وتكرر وذلك كان بمثابة التجهيز والتهيئة البدنية والنفسية والمعنوية فى الانتقال من مرحلة إلى مرحلة.

٤- الإسراء والمعراج كانتا مقدمتا الرسالة النبوية الشريفة فكما أن شق الصدر كان تجهيز للرسول ﷺ فإن الإسراء والمعراج كانتا تجهيزا لأمته ﷺ للهجرة النبوية.

٥- بيان عظمة الجنة وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وما جاء فى وصفها للتشبيه فقط ولكن الحقيقة مختلفة عن قبله فى الدنيا.

الحديث الثانى

أولا : رواية البخارى

١٠٤- حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة . وقال لى خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد وهشام قالا حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة - رضى الله عنهما - قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا ، فشق من النحر إلى مراق البطن ، ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم ملئ حكمة وإيمانا ، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار البراق ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا قيل من هذا قال جبريل . قيل من معك قيل محمد . قيل وقد أرسل إليه قال نعم . قيل مرحبا به ، ولنعم المجىء جاء . فأتيت على آدم ، فسلمت عليه ، فقال مرحبا بك من ابن ونبى . فأتينا السماء الثانية ، قيل من هذا قال جبريل . قيل من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم . قيل أرسل إليه قال نعم . قيل مرحبا به ، ولنعم المجىء جاء . فأتيت على عيسى ويحيى فقالا مرحبا بك من أخ ونبى . فأتينا السماء الثالثة ، قيل من هذا قيل جبريل . قيل من معك قيل محمد . قيل وقد أرسل إليه قال نعم . قيل مرحبا به ولنعم المجىء جاء . فأتيت يوسف فسلمت عليه ، قال مرحبا بك من أخ ونبى فأتينا السماء الرابعة ، قيل من هذا قيل جبريل

. قيل من معك قيل محمد صلى الله عليه وسلم . قيل وقد أرسل إليه قيل نعم . قيل مرحبا به ، ولنعم المجيء جاء . فأتيت على إدريس فسلمت عليه ، فقال مرحبا من أخ ونبى . فأتينا السماء الخامسة ، قيل من هذا قال جبريل . قيل ومن معك قيل محمد . قيل وقد أرسل إليه قال نعم . قيل مرحبا به ، ولنعم المجيء جاء . فأتينا على هارون ، فسلمت عليه فقال مرحبا بك من أخ ونبى . فأتينا على السماء السادسة ، قيل من هذا قيل جبريل . قيل من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم . قيل وقد أرسل إليه مرحبا به ، ولنعم المجيء جاء . فأتيت على موسى ، فسلمت { عليه } فقال مرحبا بك من أخ ونبى . فلما جاوزت بكى . فقيل ما أبكاك قال يا رب ، هذا الغلام الذى بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتى . فأتينا السماء السابعة ، قيل من هذا قيل جبريل . قيل من معك قيل محمد . قيل وقد أرسل إليه مرحبا به ، ونعم المجيء جاء . فأتيت على إبراهيم ، فسلمت عليه فقال مرحبا بك من ابن ونبى ، فرفع لى البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ، ورفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، فى أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران ، فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران النيل والفرات . ثم

فرضت على خمسون صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى ، فقال ما صنعت قلت فرضت على خمسون صلاة . قال أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، وإن أمتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله . فرجعت فسألته ، فجعلها أربعين ، ثم مثله ثم ثلاثين ، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا ، فأتيت موسى فقال مثله ، فجعلها خمسا ، فأتيت موسى فقال ما صنعت قلت جعلها خمسا ، فقال مثله ، قلت سلمت بخير ، فنودى إنى قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى ، وأجزى الحسنة عشرا » . وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم « فى البيت المعمور »[١]

[١] خ/ك - بدء الخلق/ ب - ذكر الملائكة.

ثانيا : رواية مسلم

١٠٤- حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك - لعله قال - عن مالك بن صعصعة - رجل من قومه - قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلا يقول أحد الثلاثة بين الرجلين . فأتيت فانطلق بى فأتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم فشرح صدرى إلى كذا وكذا » . قال قتادة فقلت للذى معى ما يعنى قال إلى أسفل بطنه « فاستخرج قلبى فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشى إيمانا وحكمة ثم أتيت بدابة أبيض يقال له البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الدنيا فاستفتح جبريل صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا قال جبريل . قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم . قيل وقد بعث إليه قال نعم - قال - ففتح لنا وقال مرحبا به ولنعم المجىء جاء - قال - فأتينا على آدم صلى الله عليه وسلم » . وساق الحديث بقصته . وذكر أنه لقى فى السماء الثانية عيسى ويحيى - عليهما السلام - وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة إدريس وفى الخامسة هارون - صلى الله عليهم وسلم - قال « ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة فأتيت على موسى عليه السلام فسلمت عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح . فلما جاوزته بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام

بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى . - قال - ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة فأتيت على إبراهيم » . وقال فى الحديث وحدث نبى الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان « فقلت يا جبريل ما هذه الأنهار قال أما النهران الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لى البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم . ثم أتيت بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن فعرضا على فاخترت اللبن فقيل أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة . ثم فرضت على كل يوم خمسون صلاة » . ثم ذكر قصتها إلى آخر الحديث [1].

---

[1] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٢ - ٧٣).

الراوى الأعلى

مالك بن صعصعة رضي الله عنه

مالك بن صعصة بن وهب بن عدى بن مالك بن غنم بن عدى بن عامر بن عدى بن النجار الأنصارى نسبه بن سعد وقيل أنه مازن بن النجار وجزم بذلك البغوى قال أنه من بنى مازن بن النجار رهط سفيان حدث أنس بن مالك عنه النبى ﷺ بقصة الإسراء وهو فى الصحيحين من طريق قتادة عن أنس قال البغوى سكن المدينة وروى عن النبى ﷺ حديثين وأخرج فى الإسراء من طريق سعيد بن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم عن مالك بن صعصعة وكان من قومه فساق الحديث بطولة وذكر الخطيب فى المبهمات أنه الذى قال له النبى ﷺ أكل تمر خيبر هكذا[١].

---

[١] الإصابة فى تمييز الصحابة ج: ٥ ص ٧٣٨ - ترجمة رقم ٨٦٤٥

معاني المفردات

مـــراق: أصله مرافق وهو ما سفل من البطن ورق من جلدة.

البـــراق: اشتقاقه من البرق لسرعة مشيه وهو دابة ركبها النبـي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وسمى البراق لسرعته لأنـه يضـع حافره عند منتهى بعده .. والبراق دابة فوق الحمـار ودون الحصان.

فرفـــع: أى كشف البيت المعمور المسمى بالضراح حيـال الكبـة وممارثه بكثرة من يغشاه من الملائكة.

شطـــرها: الشطر النصف وشطر الشئ نصفه وجمعه أشطر وشاطره ماله إذا ناصفه.

نبقها: النبق: وقد تسكن الباء: ثمر السدر واحدته نبقة ونبغه وأشبه شئ من العناب قبل أن تشتد حمرته.

طســـت: هو أناء تضع فيه الأشياء لتنظيفها بالماء والجميع طسـاس وطسوس وطسات.

قلال هجــر: القلال جمع قله وهى الحق العظيم معروفه بالحجاز.

النحـــر: موضع القلادة من الصدر والنحر فى اللبة وهى الصدر.

هجــــر: قرية قريبة من المدينة وليست هجرة البحرين وكانت تعمـل بها القلال، تأخذ الواحدة منها مزادة فى الماء، سميت قلـــه لأنها تقل أى ترفع وتحمل.

والقلــة: إناء للعرب كالجرة الكبيرة وقد يجمع على قلل هجر شبيه بالحباب.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يتعلق بالحديث السابق إذ أنه يشرح معجزتا الإسراء والمعراج ولكنه من رواية سيدنا مالك بن صعصعه وبين فيه سيدنا رسول الله ﷺ بداية المعجزة فيقول بينا عند البيت.

أى أنه وهو فى البيت الحرام والكعبة المشرفة التى كان يحلو له ﷺ الجلوس عندها ومشاهدتها فترات طويلة بجواره والنظر إليها وكل هذه الأفعال عبادة إلى يومنا هذا قالت أنظر إلى الكعبة يوجد بعشرين جزء من رحمة الله التى تفضل بها على عباده فى البيت الحرام والمصلى أربعين جزء من الرحمة والطائف ستون جزءا من رحمة الله وهذا فضل من الله سبحانه.

وبما أن رحلة الإسراء والمعراج كانت بمقاييس الآخرة وليست بمقاييس الدنيا حيث الوقت ووسيلة السفر والأماكن التى تنتقل إليها والمشاهد التى شاهدها فى هذه الليلة فكل ذلك يخضع لمقاييس الآخرة ولمقاييس قوله تعالى للشيئ كن فيكون.

فالرسول ﷺ كان فى حالة بين النوم واليقظة وهذه من الحالات التى كان يأتيه فيها الوحى وذلك لأنه لو كان فى حالة استيقاظ كامل ستكون الحسابات بحسابات الدنيا ولو كان فى حالة نوم عميق لما أدرك الأمر وتفحصه ولظن أنها رؤيا منامية ورؤيا الأنبياء حق.

لكن هناك فرق كبير بين الرؤيا المنامية والرؤيا البصرية بعين البصر.

والرسول ﷺ فى هذه الحالة جاءه المكان وشقا صدره الشريف من أوله وهو مكان النحر أعلى الصدر وتحت الرقبة إلى مراق بطنه أى أسفل البطن وحدث غسيل بطنه بماء زمزم فى إناء من ذهب ليتناسب مع قدره الشريف ﷺ وطهره الله سبحانه تعالى ظاهرا وباطنا.

طهارة حسية ومعنوية لأنه مقبل على أمر لم يتحقق لا حد قبله ولن يتحقق لأحد بعده فى هذه الحياة الدنيا وهو رؤية ربه سبحانه وتعالى الحياة الدنيا.

نعم يتجلى الله على خلقه من أهل الجنة فى الآخرة فكيف فيرونه سبحانه وتعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[1].

وأنطلق الرسول ﷺ فى رحلته وركب البراق وأنتقل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم خرج به ﷺ إلى السماوات العلا وكان جبريل عليه السلام يستأذن عند كل سماء وهذا يعلمنا أدب الاستئذان فيقول له خازن السماء مر أنت فيقول جبريل ومن معك فيقول محمد ﷺ فيسأله الملك هل أرسل الله إليه ليشرف بهذه الزيارة وهذه الرحلة وهذه المنزلة وهذه الدرجة التى لم تكتب لغيره فيخبره سيدنا جبريل

[1] سورة القيامة آية ٢٣

عليه السلام نعم أمر الله أن تكون هذه الليلة هى لليلة أنس الحبيب بحبيبه بصفيه والخليل بخليله.

فيفتح الخازن له ويرحب به وسيدنا رسول الله ﷺ يسلم (الرسول ﷺ) على الأنبياء الذين أحياهم الله فى السماوات وقد ذكر بعض العلماء اختلافا فى أقامه الأنبياء فى السموات فالبعض جعلهم فى أماكن غير الآخرة بأن جعل من السماء الثانية والثالثة ومن الخامسة و الرابعة ولكنه الجميع متفق على أن آدم عليه السلام فى السماء الأولى وإبراهيم عليه السلام فى السماء السابعة.

وفى كل سماء كان يتكرر السؤال والملك يعرف ولكنه يسأل ليعلمنا أداب الاستئذان وليتلذذ ويستأنس الملك بذكر اسم الرسول ﷺ .

وتجاوز الرسول ﷺ السماوات وشاهد البيت المعمور فى السماء السابعة ثم شاهد الجنة وشاهد سدرة المنتهى وهى شجرة فى آخر الجنة ينتهى إليها علم الأولين والآخرين ولا يتخطاها أخر وهى شجرة السدر فإذا به يسجد نبقها الواحدة ضخمة كغلال هجر وهى كالجرة الكبيرة أو الزبير من الأوانى المصنوعة من الفخار تتسع الواحدة لقربتين كاملتين من الماء وهذا يبين مدى عظمة الجنة وفاكهتها فالتشبه فى الاسم فقط لكن الطعم والحجم مختلف ففى الدنيا النبقة صغيرة فى حجم البلية أما فى الجنة حجمها كبيرة كغلال هجرة أن الفيل الفخامة لتتناسب مع الثمرة.

ثم شاهد ﷺ أربعة أزهار تخرج من هذه تخرج من هذه الشجرة وهى سدرة المنتهى التى ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله وهى فى أخر الجنة وهذه الأنهار أصولها تبدأ من هذه الشجرة فوجد نهران باحلتان فسأل جبريل فقال أما الباطن فهما نهران فى الجنة وهما السلسبيل والكوثر الذين أعدهما الله لعباده الطائعين فى الجنة و جاء ذكرهما فى القرآن الكريم ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾[1] و ﴿وإن أعطيناك الكوثر﴾[2].

ووجد ﷺ نهران ظاهران فسأل جبريل فأخبره أنهما النيل والفرات فنهر النيل الذى يجرى فى مصر ونهر الفرات الذى يجرى بالعراق أصلهما من أنهار الجنة ومن رحمات الله نعمات على هذه المناطق فيجب المحافظة عليها وعدم تلويثها وأن نتعامل مع هذين النهرين بما يليق بمكانتها وهذا هو الذى جعل اليهود وعليهم لعنة الله يخططون لأن يجعلوا دولتهم تشتمل على هذين الشهرين كما يقولون من النيل إلى الفرات على حسب زعمهم ولكن الله سبحانه وتعالى حبا لنبيه بهذه الزيارة وأنزل له هذين النهرين من الجنة لأمته ولدولة الإسلام.

وقد يسأل سائل كيف يكون أصل هذين النهرين فى الجنة وهما فى الأرض فتقول بأن أصلها تخرج من الجنة من سدرة المنتهى ثم

---

(1) سورة الإنسان آية ١٨.

(2) سورة الكوثر آية ١.

تسير حيث أراد الله تعالى فى الجنة والسماوات ثم تهبط إلى الأرض فتخرج منها وتسير فيها وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع وهو ظاهر الحديث وهذا يتناسب مع حقيقة نهر النيل فنحن نعلم أن أصله أمطار تنزل من السماء على الحبشة فى أثيوبيا ثم تتجمع وتسير فى طريقها إلى مصر وهذا يؤكد أن النيل من الجنة لأنه ينزل من السماء.

وبعد هذه المشاهد فرضت الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ وظل يتردد بين موسى وربه سائلا التخفيف وعاملا بنصيحة موسى عليه السلام لأنه خير الأمم قبله وعرف طباعهم وطاقتهم إلى أن أصبحت خمس صلوات فى اليوم والليلة فقال موسى للرسول الله ﷺ أرجع إلى ربك وأسأله التخفيف فقال له ﷺ سلمت بخير أى شكره على نصيحته ولكنه ﷺ استحيا أن يرجع إلى ربه وسأله أكثر من ذلك فنودى من قبل الذات العليا بأن الله سبحانه وتعالى قد أمضى فريضته وهى الخمسين صلاة ولكنه خفف عن عباده فجعلها خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر والثواب.

المباحث الفقهية

هل كان المعراج لبلة الإسراء، وهل كان يقظة أو مناما؟

١- وقد وقع فى ذلك اختلاف فقيل: كانا فى ليلة واحدة فى يقظته ﷺ وهذا هو المشهور عند الجمهور، وقيل: كانا جميعا فى ليلة واحدة فى منامه، وقيل: وقعا جميعا مرتين فى ليلتين مختلفتين إحداهما يقظة والأخرى مناما، وقيل كان الإسراء إلى بين المقدس خاصة فى اليقظة وكان المعراج مناما إما فى تلك الليلة أو فى غيرها، والذى ينبغى أن لا يجرى فيه الخلاف أن الإسراء إلى بيت القدس كان فى اليقظة لظاهر القرآن، ولكون قريش كذبته فى ذلك ولو كان مناما لم تكذبه فيه ولا فى أبعد منه.

٢- وقد أخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه أن القصر فى السفر عزيمة لا رخصة، واحتج مخالفوهم بقوله سبحانه وتعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة)[1] لأن نفى الجناح لا يدل على العزيمة، والقصر إنما يكون من شئ أطول منها.

يدل على أنه رخصة قوله ﷺ "صدقه تصدق الله بها عليكم" وأجابوا عن حديث الباب بأنه من قول عائشة غير مرفوع وبأنها لم تشهد زمان فرض الصلاة، قاله الخطابى وغيره، وفى هذا الجواب نظر.

---

[1] سورة النساء آية ١٠

أما أولا فهو مما لا مجال للرأى فيه فله حكم الرفع، وأما ثانيا فعلى تقدير تسليم أنها لم تدرك القصة يكون مرسل صحابى وهو حجة، لأنه يحتمل أن تكون أخذته عن النبى ﷺ أو عن صحابى وهو حجة، وأما قول إمام الحرمين لو كان ثابتا لنقل متواترا ففيه أيضا نظر، لأن التواتر فى مثل هذا غير لازم.

وقالوا أيضا: يعارض حديث عائشة هذا حديث ابن عباس " فرضت الصلاة فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين "أخرجه مسلم، والجواب أنه يمكن الجمع بين حديث عائشة وابن عباس كما سيأتى فلا تعارض، وألزموا الحنفية على قاعدتهم فيما إذا عارض رأى الصحابى روايته بأنهم يقولون: العبرة بما رأى لا بما روى، وخالفوا ذلك هنا، فقد ثبت عن عائشة أنها كانت تتم فى السفر فدل ذلك على أن المروى عنها غير ثابت، والجواب عنهم أن عروة الراوى عنها قد قال لما سأل عن إتمامها فى السفر إنها تأولت كما تأول عثمان، فعلى هذا تعارض بين روايتها وبين رأيها، فروايتها صحيحة ورأيها مبنى على ما تأولت. والذى يظهر لى وبه تجتمع الأدلة السابقة - أن الصلوات فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين إلا المغرب، ثم زيدت به الهجرة عقب الهجرة إلا الصبح، كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقى من طريق الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت "فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول ﷺ المدينة واطمأن زيد فى صلاة

الحضر ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة، وصلاة المغـــرب لأنها وتر النهار" أ هـــ.

ثم بعد أن استقر الرباعية خفف منها فى السفر عند نزول الآيـــة السابقة وهى قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصـــــلاة) ويؤيد ذلك ما ذكره ابن الأثير فى شرح المسند أن قصر الصلاة كان فى السنة الرابعة من الهجرة، وهو مأخوذ مما ذكره غيره أن نـــزول آيـــة الخوف كان فيها، وقيل كان قصر الصلاة فى ربيع الآخر مـــن الســـنة الثانية ذكره الدولابى وأورده السهيلى بلفظ "بعد الهجرة بعام أو نحـــوه، وقيل بعد الهجرة بأربعين يوما"، فعلى هذا المراد بقول عائشة "فـــأقرت صلاة السفر" أى باعتبار ما آل إليه الأمر من التخفيف، لا أنها استمرت منذ فرضت، فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة، وأما مـــا وقـــع فـــى حديث ابن عباس "والخوف ركعة" فالبحث فيه يجئ إن شاء الله تعـــالى فى صلاة الخوف.

ما يستفاد منه الحديث

١- أن الصلاة المفروضة وهى الخمس صلوات فرضت فى السماء وهذا يبين فضلها وأهميتها بخلاف باقى العبادات نزل جبريل الأمين بها إلى الأرض وأن الصلاة التى كان يصليها صلى الله عليه وسلم قبل هذه الليلة هى النوافل وقيام الليل وقبل كانتا صلاتين ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى ولم تكن فرضا.

٢- أن نهرا النيل والفرات من أنهار الجنة فيجب المحافظة عليها وهما نعمتان عظيمتان لمصر والعراق فيجب شكرا الله على هذه النعمة.

٣- يجب الأخذ بالنصيحة ما دامت من صالح يوثق به كما فعل الرسول ﷺ وأخذ بنصيحة سيدنا موسى عليه السلام وعجل بها وكانت باب خير على أمته ﷺ.

٤- جواز مدح الإنسان فى وجهه إذا أمس عليه من الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة كما مدح الأنبياء النبى ﷺ فى وجهه عندما [illegible] بهج وأيضا استجاب لقاء أهل الفضل بالبشر وال[illegible] والكلام الحسن والدعاء لهم كما حدث بين [illegible]

٥- من فضل الله سبحانه وتعا[illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية بعشر حسنات والسيئة بمثلها فإن ترك [illegible] من [illegible] الله [illegible] له حسنة.

٦- أن الرسول ﷺ خلق من نور الله تعالى ﴿قد جاء لكم من الله نور وكتاب بين﴾[١] لأنه صلى الله ﷺ هو الوحيد الذى عشى بـــأنوار الذات العلية وجبريل عليه السلام مع أنه مخلوق من نور كبـــاقى الملائكة لم يستطيع أن يتقدم لأن النور درجات فدرجته النورانية لا تتحمل أنوار الذات العلية ولكنها تحترق إذا قربت منا أما ســـيدنا رسول الله فاخترق لأن نوره من نفس الأنوار.

---

(١) سورة المائدة آية ١٥

الحديث الثالث

أولا : رواية البخارى

١٠٥- حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن قتادة . وقال لى خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أبى العالية حدثنا ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رأيت ليلة أسرى بى موسى رجلا آدم طوالا جعدا ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار » . والدجال فى آيات أراهن الله إياه ، فلا تكن فى مرية من لقائه . قال أنس وأبو بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « تحرس الملائكة المدينة من الدجال »[1]

---

[1] خ/ك بدء الخلق ، ب/ إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة فى السماء فواخفت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه.

ثانيا : رواية مسلم

١٠٥- وحدثنا عبد بن حميد أخبرنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أبى العالية حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران - عليه السلام - رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس » . وأرى مالكا خازن النار والدجال . فى آيات أراهن الله إياه فلا تكن فى مرية من لقائه . قال كان قتادة يفسرها أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قد لقى موسى عليه السلام [١].

---

[١] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٢ - ٧٣).

الراوى الأعلى

عبد الله بن عباس ﵄

سبقت ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص٩٠ .

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو العباس الهاشمى ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وقد دعا له النبى (ص) بقوله اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وهو مفسر كتاب الله وحبر هذه الأمة روى عن الرسول كثيراً وتوفى سنة ٦٨ هـ بالطائف وصلى عليه محمد بن الحنفية .

معاني المفردات

أدم : أسمر

الطـــوال: الطويل.

جعـــــدا: جعدا الشعر جعودة إذا كان فيه التواء والنقيض فـــــهو جعـــد وذلك خلاف المسترسل.

شنـــــؤه: أى فى طوله وأسمر اللون وأصل شنوءه قبيلة من قحطـــــان كان يشتهر أبنائها بالطول وسمرة البشرة.

مربوعـــا: لا طويل ولا قصير وإذا طلقت قصد بها مربوع القامـــــة أى معتدل فى قامته وهيئته.

مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض: أى مائلا لونه إليها فلم يكن شديدها.

سبط الرأس: مسترسل الشعر.

مريــــــة: شك والمرية أى الشك وقد يضم، والامتراء فى الشـــئ أى الشك فيه وكذا التمارى.

الدجـــــال: المسيح الكذاب ويقال المسيخ بالخاء لأنه ممسوخ العــين أى أعور العين اليمنى وهو من فتن أخر الزمان الـــذى يفتـــن الناس ببعض خوارى العادات ويقتل على يد رجل من الأمة الإسلامية.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يبين ويفسر لنا بعض المرائى التى رأهـا رسول الله ﷺ فى ليلة الإسراء والمعراج.

فقد رأى ﷺ مرائى فى الأرض أسناء رحلة الإسراء واجتمع بالأنبياء جميعا فى المسجد الأقصى صلى بهم أماما وهذه الصلاة لم تكن من الخمس صلوات الذى فرضت بعد ذلك فى رحلة المعراج ولكنها من قبيل الصلاة التى كان ﷺ يصليها قبل فريضة الصلاة على الأمة فى هذه الليلة.

ففى هذه الليلة رأى سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليه السلام مرتين مرة فى المسجد الأقصى ومرة أخرى فى السماوات التى أقامهم رب العزة فيها.

فيصف لنا سيدنا موسى بأنه كان رجلا طويلا أسمر البشرة وشعره جعدا أى قطط غير مسترسل ومنكمش بعض إلى بعض كأنه من قبيلة شنوءة التى تتطابق أوصافه من أوصاف ابناء هذه القبيلة وهى من محطات إحدى القبائل العربية ويعرفها العرب ويعرف أوصافها.

وهذا الوصف يتناسب مع ما جاءه القرآن الكريم عن موسى عليه السلام وقوته (فوكزه موسى فقضى عليه) [1] ثم وصف لنا سيدنا عيسى عليه السلام بأن كان رجلا مربوع الخلق أى وسط فليس بالطويل

---

(1) سورة القصص آية ١٥

البائس ولا بالقصير الحقير فالمربوع الرجل بين الرجلين فى القامة ليس بالطويل ولا القصير.

ثم بين أن لون بشرته إلى الحمرة والبياض فـــلا هـــو شـــديد البياض ولا هو شديد الحمرة ولكن لونه أبيض يميل إلى السماوى ممكن يميل بالحمرة دليلا على جمال خلقه ولونه لأنه لو طغى لون على آخـــر لكان مرضا وصفته غير محدودة.

وشعره عليه السلام سبط أى مسترسل ليس به تجاعيد كثيرة.

ورأى فى هذه الليلة أيضا مالكا خازن النـــار لأنـــه ﷺ رأى الجنة ورضوان خازنها ورأى النار ومالك خازنها وكانت هذه ضمـــن المرائى التى رآها ﷺ فقد رأى من خلقه ومن سيخلق وما حدث فـــى الماضى وماسيحدث فى المستقبل لأنه انكشف له فى هذه من الغيبيـــات فى هذه الليلة الكثير (عالم الغيب فلا يظهر على غيبـــه أحـــدا إلا مـــن أرضى من رسول) [1].

فالجنة والنار من غيب الغيبات وأيضا رأى الدجال وهـــو لـــم يخلق بعد لأنه سيأتى فى آخر الزمان وسيكون من علامـــات الســـاعة ليفتنى الناس فمن يفتنى برجله يدخل النار ومن يعصمه الله مـــن فتنـــة يدخل الجنة وهنا يبين راوى الحديث أن هذه المرائـــى مـــن آيـــات الله ومعجزاته وعلاماته ودلائل قدرته كما قال تعالى فى سورة طه ﴿لنريه

[1] سورة الجن آية ٢٦

من آياتنا الكبرى﴾[1] وأن الله سبحانه وتعالى هو المقتدر والقادر وهـــو الذى آراه هذه المرائى وأطلق عليها فلا تكن أيها السامع فى شك مـــن رؤية الرسول الله ﷺ لعزة المرائى ولا هذه اللقاءات التى حدثت بيـــن الرسول ﷺ والرسل السابقين.

[1] سورة طه آية ٢٣

المباحث الفقهية

قال عياض: رؤيا النبى ﷺ للأنبياء على ما ذكـــر فـــى هـــذه الأحاديث إن كان مناما فلا إشكال فيه، وإن كان فى اليقظة ففيه إشكال.

وقد تقدم فى الحج ويأتى فى اللباس من رواية ابن عـــون عـــن مجاهد عن ابن عباس فى حديث الباب فى الزيادة "وأما موسى فرجـــل آدم جعد على جمل أحر مخطوم بخلبة، كأنى أنظر إليه إذا انحدر فـــى الوادى" وهذا مما يزيد الإشكال.

وقد قيل عن ذلك أجوبة: أحدها أن الأنبياء أفضل من الشـــهداء والشهداء أحياء عند ربهم فكذلك الأنبياء فلا يبعد أن يصلـــوا ويحجـــوا ويتقربوا إلى الله بما استطاعوا ما دامت الدنيا وهى دار تكليف باقية.

ثانيها: أنه ﷺ أرى حالهم التى كانوا فى حياتهم عليها فمثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وتلبيتهم، ولهذا قال أيضا فى رواية أبـــى العالية عن ابن عباس عند مسلم "كأنى أنظر إلى موسى، وكأنى أنظـــر إلى يونس".

ثالثها: أن يكون أخبر عما أوحى إليه ﷺ من أمرهم وما كـــان منهم.

فلهذا أدخل حرف التشبيه فى الرواية، وحيـــث أطلقـــها فـــهى محمولة على ذلك والله أعلم.

وقد جمع البيهقى كتابا لطيفا فى حياة الأنبياء فى قبورهم أورد فيه حديث أنس "الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون" أخرجه من طريق يحيى بن أبى كثير وهو من رجال الصحيح عن المستلم بن سعيد، وقد وثقه أحمد وابن حبان عن الحجاج الأسود وهو ابن أبى زيادة البصرى وقد وثقه أحمد وابن معين عن ثابت عنه.

وأخرجه أيضا أبو يعلى فى مسنده من هذا الوجه وأخرجه البزار لكن وقع عنده عن حجاج الصواف وهو وهم والصواب الحجاج الأسود كما وقع التصريح به فى رواية البيهقى وصححه البيهقى.

وأخرجه أيضا من طريق الحسن بن قتيبة عن المستلم، وكذلك أخرجه البزار وابن عدى، والحسن بن قتيبة ضعيف.

وأخرجه البيهقى أيضا من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى أحد فقهاء الكوفة عن ثابت بلفظ آخر قال: "إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدى الله حتى ينفخ فى الصور" ومحمد سيئ الحفظ.

وذكر الغزالى ثم الرافعى حديث صحيح مرفوع "أنا أكرم على ربى من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث ولا أصلى له" إلا أن أخذ من رواية ابن أبى ليلى هذه وليس الأخذ بجيد لأن رواية ابن أبى ليلى قابلة للتأويل، قال البيهقى: إن صح فالمراد أنهم لا يتركون يصلون إلى هذا المقدار ثم يكونون مصلين بين يدى الله، قال البيهقى: وشاهد الحديث

الأول ما ثبت فى صحيح مسلم من رواية حماد بن سلمة عن أنس رفعه" مررت بموسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره" وأخرجه أيضا من وجه آخر عن أنس، فإن قيل هذا خاص بموسى قلنا قد وجدنا له شاهد من حديث أبى هريرة أخرجه مسلم أيضا من طريق عبد الله بن الفضل عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه "لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى الحديث وفيه "وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلى، فإذا رجل ضرب كأنه ﷺ وفيه: وإذا عيسى ابن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود، وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم، فحانت الصلاة فأممتهم" قال البيهقى: وفى حديث سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أنه لقيهم ببيت المقدس فحضرت الصلاة فأمهم نبينا ﷺ ثم اجتمعوا فى بيت المقدس.

وفى حديث أبى ذر ومالك بن صعصعة فى قصة الإسراء أنه لقيهم بالسماوات، وطرق ذلك صحيحة فيحمل على أنه رأى موسى قائما يصلى فى قبره، ثم عرج به هو من ذكر من الأنبياء إلى السماوات فلقيهم النبى ﷺ، ثم اجتمعوا فى بيت المقدس فحضرت الصلاة فأمهم نبينا ﷺ، قال: وصلى بهم فى أوقات مختلفة وفى أماكن مختلفة لا يرده العقل، وقد ثبت به النقل، فدل ذلك على حياتهم.

قلت: وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن، والأنبياء من الشهداء.

ومن شواهد الحديث ما أخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة رفعه وقال فيه: "وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم" سنده صحيح، وأخرجه أبو الشيخ فى "كتاب الثواب" بسند جيد بلفظ" من صلى على عند قبرى سمعته، ومن صلى على نائيا بلغته" وعند أبى داود والنسائى وصححه ابن خزيمة وغيره عن أوس بن أوس رفعه فى فضل يوم الجمعة "فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على.

قال يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء "ومما يشكل على ما تقدم ما أخرجه أبو داود من وجه آخر عن أبى هريرة رفعه" ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام" ورواته ثقات.

ووجه الإشكال فيه أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضى انفصالها عنه وهو الموت، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة: أحدها: أن المراد بقوله: "رد الله على روحى" أن رد روحه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد.

الثانى: سلمنا، ولكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه.

الثالث: أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك.

الرابع: المراد بالروح النطق فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه.

الخامس: أنه يستغرق فى أمور الملأ الأعلى، فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من سلم عليه.

وقد استشكل ذلك من جهة أخرى، وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله فى ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه فى أقطار الأرض ممن لا يحصى كثرة، وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة والله أعلم.

ما يستفاد منه الحديث

١- أن الرسول ﷺ أطلع على كثير من الغيبيات فى ليلة الإسراء والمعراج وأن الله سبحانه وتعالى كشف له من الغيب فى هذه الليلة ما لم يكشف لغيره من الأنبياء ولا الملائكة.

٢- أن خلق سيدنا موسى عليه السلام يدل على القوة والشدة وهذا يتناسب مع قومه ورسالته بخلاف خلق سيدنا عيسى عليه السلام الذى يدل على الرحمة والمحبة واللين كما جاء فى القرآن الكريم.

٣- أن الجنة مخلوقة والنار مخلوقة ويستعدان لاستقبال أهلها فالجنة أعدت للمؤمنين الطائعين والنار أعدت للكافرين العاصين المكذبين.

٤- أن المسيح الدجال سينزل اخر الزمان وسيكون فتنة لأنه سيفعل أفعال غريبة وعلى المؤمن أن يفرق بين الكرامة والمعجزة وبين السحر والاستدراج وذلك بالالتزام بشرع الله والتمسك بالكتاب والسنة وعدم مخالفتها والخروج عليها.

٥- على المسلم ألا يشك فى أمر ما دام جاء فى القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة وإن كان عقله لا يستوعبه أو لا يدركه فلا أعمال للعقل مع النص

الحديث الرابع

أولا : رواية البخارى

١٠٦- حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنى ابن أبى عدى عن ابن عون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس - رضى الله عنهما - فذكروا الدجال فقال إنه مكتوب بين عينيه كافر . وقال ابن عباس لم أسمعه قال ذاك ولكنه قال « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فرجل آدم جعد ، على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كأنى أنظر إليه إذ انحدر فى الوادى يلبى »[١]

ثانيا : رواية مسلم

١٠٦- حدثنى محمد بن المثنى حدثنا ابن أبى عدى عن ابن عون عن مجاهد قال كنا عند ابن عباس فذكروا الدجال فقال إنه مكتوب بين عينيه كافر . قال فقال ابن عباس لم أسمعه . قال ذاك ولكنه قال « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم وأما موسى فرجل ادم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى يلبى »[٢] .

---

[١] خ/ك الحج ، ب/ التلبية إذا أنحدر فى الوادى.

[٢] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٢ - ٧٣).

الراوى الأعلى

عبد الله بن عباس ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص٩٠ .

معانى المفردات

انحدر : الانحدار الانهباط والموضع منحدر وتحدر الدمع تنزل والحدور بالفتح الهبوط وهو المكان الذى ينحدر منه.

الوادى : وقد يكتفى بالكسرة عن الياء فيكون الواد قال فرقر قمر الواو بالشاهق وهو المكان السهل المبسوط بين أمكنه شاهقة أو جبال والجمع الأودية على غير قياس كأنه جمع ودى مثل سرى وأسرية للنهر.

يلبى : أصله التلبية بالحج ومنه قولهم لبيك أى أنا مقيم على طاعتك ونصب على المصدر كقولك حمدا لله وشكرا.

المعنى العام

يبين لنا هذا الحديث أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون حديث رسول الله ﷺ ويراجعون الروايات ويستوضحونها كما يبين ذلك مجاهد بقوله كنا عند بن عباس وتذاكروا أحاديث الإسراء والمعراج والمرائى التى رآها الرسول ﷺ فى هذه الليلة ومنها الدجال فقال أحدهم أن الرسول ﷺ قال مكتوب بين عينيه كافر فقال ابن عباس لم أسمع هذا الوصف من الرسول ﷺ وهذا ليس نفيا أو إنكار لأنه لم يسمع ولكن غيره سمع وكل واحد يروى ما سمع فروى ابن عباس ما سمعه من أن الرسول قال عندها مر بوادى الأزرق كأنى أنظر إلى موسى إذا انحدر من الوادى يرفع صوته بالتلبية لله عز وجل وعندما مر على ثنية هرش وهو جبل من الجحفة على طريق الشام والمدينة فقال كأنى أنظر إلى يونس بن متى على ناقشته يلبى وفى هذا إشارة إلى الأنبياء عليهم السلام كان حالهم فى الدنيا مع خالقهم التلبية والإجابة له والحج وحجيجهم ليس كحجنا هذا الزمان .

ولكن هناك حج البيت الحرام على ملة إبراهيم وهو ما كان يفعله الأنبياء السابقين.

فمنهم من كان يأتى ماشيا كموسى عليه السلام ومنهم من كان يأتى راكبا كيونس عليه السلام.

المباحث الفقهية

وقد اختلف أهل التحقيق فى معنى قوله "كأنى انظر" على أوجه:

الأول هو على الحقيقة والأنبياء أحياء عند ربهم يرزقون فلا مانع أن يحجوا فى هذا الحال كما ثبت فى صحيح مسلم من حديث أنس أنه ﷺ رأى موسى قائما فى قبره يصلى، قال القرطبى: حببت إليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعى أنفسهم لا بما يلزمون به، كما يلهم أهل الجنة الذكر.

ويؤيده أن عمل الآخرة ذكر ودعاء لقوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم) [١] ، لكن تمام هذه التوجيه أن يقال إن المنظور إليه هى أرواحهم، فلعلها مثلت له ﷺ فى الدنيا كما مثلت له ليلة الإسراء، وأما أجسادهم فهى فى القبور، قال ابن المنير وغيره: يجعل الله لروحه مثالا فيرى فى اليقظة كما يرى فى النوم.

ثانيها كأنه مثلت له أحوالهم التى كانت فى الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا، ولهذا قال: "كأنى".

ثالثها كأنه أخبر بالوحى عن ذلك فلشدة قطعه به قال: "كأنى أنظر إليه".

رابعها كأنها رؤية مناما تقدمت له فأخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك، ورؤيا الأنبياء وحى، وهذا هو المعتمد عندى لما سيأتى فى

---

(١) سورة يونس آية ١٠

أحاديث الأنبياء من التصريح بنحو ذلك فى أحاديث أخر، وكون ذلـــك كان فى المنام والذى قبله أيضا ليس ببعيد والله أعلم.

قال ابن المنير فى الحاشية: توهيم المهلب للراوى وهم منه، وإلا فأى فرق بين موسى وعيسى لأنه لم يثبت أن عيسى منذ رفع نزل إلـــى الأرض إنما ثبت أنه سينزل.

قلت أراد المهلب بأن عيسى لما ثبت أنه سينزل كان كالمحقق فقال "كأنى أنظر إليه" ولهذا استدل المهلب بحديث أبى هريرة الذى فيه "ليهلن ابن مريم بالحج" والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث

١- أن الدجال كافر ملعون ومن تبعه يكون ملعون مثله فعلى المسلم أن يدعو الله أن يعصمه من فتنة الدجال كما جاء فى دعاء الرسول ﷺ .

٢- أن الأنبياء السابقين كانوا يحجون البيت ويلبون ويرفعون أصواتهم بالتلبية الله عز وجل وكان حجهم على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام وليس كالحج الذى نحج الآن.

٣- الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون أحاديث رسول الله ﷺ ويستوضحونها ليتأكدوا منها ويحفظوها.

الحديث الخامس

أولا : رواية البخاري

١٠٧- حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به « رأيت موسى وإذا رجل ضرب رجل ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ، فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس ، وأنا أشبه ولد إبراهيم صلى الله عليه وسلم به ، ثم أتيت بإناءين ، في أحدهما لبن ، وفي الآخر خمر فقال اشرب أيهما شئت . فأخذت اللبن فشربته فقيل أخذت الفطرة ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك »[1]

---

[1] خ/ك أحاديث الأنبياء، ب/ قول الله تعالى ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾

ثانيا : رواية مسلم

١٠٧- وحدثنى محمد بن رافع وعبد بن حميد - وتقاربا فى اللفظ - قال ابن رافع حدثنا وقال عبد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « حين أسرى بى لقيت موسى - عليه السلام - » . فنعته النبى صلى الله عليه وسلم « فإذا رجل - حسبته قال - مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة - قال - ولقيت عيسى » . فنعته النبى صلى الله عليه وسلم « فإذا ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس » . - يعنى حماما - قال « ورأيت إبراهيم - صلوات الله عليه - وأنا أشبه ولده به - قال - فأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر فقيل لى خذ أيهما شئت . فأخذت اللبن فشربته . فقال هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك »[١]

---

[١] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٢ - ٧٣).

الراوى الأعلى

أبى هريرة ﷺ

سبق ترجمته فى الجز الأول من فتح المنان ص٣٤

عبد الرحمن بن صخر الدوسي كناه الرسول ﷺ بأبي هريرة حينما رآه
يحمل هرة في كمه وهو أكثر الرواة عن الرسول وتوفي سنة سبع وقيل
سنة ثمان وقيل تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين

معاني المفردات

ضـــــرب: نحيف خفيف اللحم.

ربعـــــــة: المربوع ومراده ليس بطويل جدا ولا قصيرا جـــدا بـــل وسط.

ديمـــــــاس: يعني في نضرته وكثرة ماء وجهه كأنه خرج مـــن كـــن لأنه قال في وصفه كأن رأسه يقطر ماء وذلك كأنه خرج من مكان مغلق عليه أو شيئ مغلف فيه.

أخذت القطرة: أي الإسلام والاستقامة.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يرويه لنا أبو هريرة ﷺ جزء من المرائى التى رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وبعض الأحداث التى حدثت فى هذه الليلة فمن هذه المرائى رؤية ﷺ للأنبياء وقد وصف لنا ﷺ بعض الأنبياء الذين رآهم فى هذه الليلة فمثلا يصف لنا سيدنا موسى عليه السلام بأنه رجل نحيف الجسم حفيف للعم طويل القامة أسمر البشرة كما جاء فى الحديث كأنه من رجل الشندءة وهى القبيلة التى يشتهد أبنائها بالطول مع اللون الأسمر .

وصف لنا سيدنا عيسى عليه السلام بأنه رجل ليس بالطويل ولا القصير لونه إلى الحمار يميل البياض فليس بالأبيض الشاهق ولا الأحمر الغامق لكنه قمحى اللون مشرب بالحمرة وعلى وجهه نضارة كأنه خرج من ديماس أى كن أو مكان مغلق عليه يكنه من الأتربة والغبار ويحافظ على بشرته أو خرج من حمام ساخن أو حمام بخار أو سونة أو ما خلاف ذلك أشارة إلى أن فى وجهه نضره.

ثم يبين لنا الرسول ﷺ أنه عندما رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام وجد أنه أكثر الناس شبها به فإبراهيم جده الأعلى لأن إبراهيم أنجب إسماعيل فمن إسحاق خرج بنو إسرائيل ومن إسماعيل خرج سيدنا رسول الله ﷺ وكان أكثر درجة سيدنا إبراهيم شبها به.

ومن الإحداث التى حدثت فى هذه الليلة أيضا أن جبريل عليه السلام جاء لسيدنا رسول الله ﷺ بإنائين إحداهما فيه خمر والثانى فيه لبن وقدمهما لسيدنا رسول الله ﷺ يشرب أيهما شاء وخيره فختار الرسول الله ﷺ اللبن وأخذه وشربه وترك الخمر فقال له سيدنا جبريل عليه السلام أخذت الفطرة يعنى الإسلام والاستقامة وأن الله سبحانه وتعالى أصاب بك أمتك على الفطرة وأخبره جبريل عليه السلام بقوله أنك لو أخذت الخمر غوت أمتك لأن الرسول ﷺ هو الأسوة وهو القدوة معدما ما أختار الفطرة الاستقامة كان ذلك دليل على المنهج الذى تسير عليه الأمة من خلافة أما لو شرب الخمر مع أنها غير خمر لدنيا كان دافعا لبعض أصحاب الأهواء فى الغوايا والانحراف ويحللون خمر الدنيا لأنفسهم متحجين بأن الرسول ﷺ شربها ليلة الإسراء والمعراج ويكون هذا سببا من الأسباب التى يعتمد عليها بعض الناس فى غوايتهم.

ما يستفاد من الحديث

١- أن سيدنا موسى عليه السلام كان رجل نحيف وطويل ولونه أسمر.

٢- أن سيدنا عيسى عليه السلام رجل ليس بطويل ولا بقصير ولونه قمحي مشربا تعلو وجهه النضرة.

٣- أن الرسول ﷺ أكثر الناس شبها بجده الأعلى سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٤- أن الرسول ﷺ هو الأسوة وهو القدرة على كل حاكم أو قائدا أو مسئول أن يكون قدوة حسنة لمن يحكمهم أو من يقودهم.

٥- اللبن يدل على الفطرة وذلك لصفائه وحلاوته وإفادته وعدم الاستغناء عنه.

٦- الخمر أم الخبائث وهي من أهم أسباب الشر.

الحديث السادس

أولا : رواية البخارى

١٠٨- حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى عن نافع قال عبد الله ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهرى الناس المسيح الدجال ، فقال « إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية »[١].

---

[١] خ/ك أحاديث الأنبياء، ب/ قول الله تعالى ﴿واذكر فى كتاب مريم﴾.

ثانيا: رواية مسلم

١٠٨- حدثنا محمد بن إسحاق المسيبى حدثنا أنس - يعنى ابن عياض - عن موسى - وهو ابن عقبة - عن نافع قال قال عبد الله بن عمر ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال « إن الله تبارك وتعالى ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرانى الليلة فى المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء . واضعا يديه على منكبى رجلين وهو بينهما يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح ابن مريم . ورأيت وراءه رجلا جعدا قططا أعور عين اليمنى كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هذا المسيح الدجال » [١].

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٢).

الراوى الأعلى

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

سبق ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص١٨٥

عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعا للأثر وتوفي سنة ثلاث وسبعين أو أول التي تليها.

معانى المفردات

آدم : أسمر إذا كان فى الإنسان والجمع أدمان والآدم من الإبل الشديد البياض وقيل هو الأبيض والأسود المقلتين وآدم هو أبو البشر.

آدم الرجال: سمرهم.

اللمة: الشعر إذا جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين.

المنكب: كمجلس مجمع عظم العضد والكتف.

رجل الشعر: قد سرحه ودهنه.

قططا: شديد جعودة الشعر.

ابن قطن: عبد العزى، هلك فى الجاهلية.

عنبه طافية: أى بارزة وهى التى خرجت عن نظيرها.

المعنى العام

فى هذا الحديث الشريف يروى لنا سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ أن الرسول ﷺ بعد أن يبين للناس أوصاف المسيح عليه السلام أراد أن يوضح لهم صورة المسيخ الدجال ليخبروا من بعدهم بأوصافه كى يتقوا أنفسهم فى أخر الزمان.

فبينما الرسول ﷺ جالس بين أصحابه رضوان الله عليهم وراء الحديث حول المسيخ الدجال وأوصافه فقال الرسول ﷺ أن الله ليس بأعور إشارة إلى أن الله هو الخالق فهو منزه عن جميع صفات المخلوقين، فهو ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير وذلك لأن المسيح الدجال سيدعى للإبراهيم بعد إدعائه النبوة فيدلهم أن المسيخ الدجال الذى يفتون به هو خلق من خلق الله جعل الله فيه نقيصه من النقائص لتكون علامة له لمن أراد الهدى فقال ﷺ (أن المسيخ الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه طافية) أى أن الدجال مخلوق خلقه الله ناقص الصورة وعينه اليمنى بها مرض وهو العور وهذا العور ظاهر، فعينه اليمنى بارزة مطفية كحبة العنب التى فسدت وخرجت من عنقودها عن باقى نظائرها.

فينبغى لكل مسلم أن يعلم هذا الوصف ويعلمه للناس لئلا يعتبر الدجال من يرى تحيلاته وماهه من الفتنة فيتبعه ، ويعمل بما يأمره به ولو كان هذا مخالف لشرع الله عز وجل وفى هذا إشارة أيضا إلى أن

كل صاحب دعوة أو فكرة يجب علينا أن نعرض هذه الدعوة أو الفكـرة على الشرع فإن وافقت ما جاء به الشرع وساعدت على الألتزام علـى منهج الشريعة كانت دعوة حسنة الاتباع وأما إذا خـالفت الشـرع أو ساهمت فى إبطال الأعمال الشرعية فهى دعوة سـيئة مسـتمدة مـن الشيطان فيجب على الأنسان أن يتبعد ويحذر غيره من الوقوع فيها.

وفى هذا الحديث الشريف يبين لنا النبـى ﷺ أنـه رأى رؤيـا منامية أثناء نومه عند الكعبة التى كان يحلو له الجلوس بجوارها أكـبر وقت ممكن ففى أثناء نومه قبل الإسراء والمعراج رأى رؤيـا مناميـه وهذه الرؤيا حدثت قبل رحلة الإسراء والمعراج وذلك كتجهيز وتـأهيل للرحلة الإسراء والمعراج حتى لا يندهش أو يستغرب عندما يرى هـذه المرائى فمن بين ما رآه فى منامه أنه رأى رجلا فى أحسـن صـورة ولونه يميل إلى السمرة المختلطة بالحمرة وهو اللون الذى يطلقون عليه حاليا اللون البرنزى وشعر رأسه مسترسل وناعم فينزل علـى كتفيـه ورأسه يقطر ماء كأنه انتهى الأن من تصفيف شعره وتزيننيه بعد غسله وواضع يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فسأل النبـى ﷺ عن هذا الرجل فأخبر بأنه المسيح ابن مريم عليه السلام ثم رأى رجـلا خلقه جعدا قططا أى شعره من الخلف شديد الجعودة الإنكماش أعـور العين اليمنى يشبه رجلا فى الجاهلية كان يسمى عبد العزى بن قطـن فقال النبى ﷺ [illegible] قيل له المسيح [illegible]جال وهذا ليبين للناس أن المسـيح

عليه السلام كان آية من آيات الله وعندها أعطاه الله بعض المعجـزات كإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لم يعتقد به أحـد مـن الناس لأنه كان ينسب هذه المعجزات إلى الحق تبـارك وتعـالى أمـا المسيخ الدجال يأتى بأشياء خارقة للعادة وينسبها لنفسه حتى يفتتن بـه الناس و تكون هذه الأشياء مخالفة لشرع ليستدرج بها الناس وتكون فتنة لهم فى الحياة الدنيا ولا يعصم من هذه الفتنة إلا المؤمنين الذين عصمهم الله تبارك وتعالى.

ما يستفاد من الحديث

١- تواضعه ﷺ وجلوسه بين أصحابه واختلاطه بهم.

٢- حرص النبى ﷺ على أمته وبيانه لهم الفتن والمهلكات لكى يجتنبوها.

٣- ان المسيخ الدجال فتنة للناس وسيكون فى أخر الزمان وأنه يعد من علامات يوم القيامة.

٤- أن المسيخ الدجال اعور العين اليمنى وعينه بارزة إشارة إلى سوء منظره وخلقته.

٥- أن كل داع يدعو إلى دعوة مخالفه للشرع فهو يعد من أتباع المسيخ الدجال.

٦- أن الرسول ﷺ رأى رحلة الإسراء والمعراج متاما قبل أن يشاهدها عيانا وذلك لئلا يندهش من الرأئى أثناء الرحلة.

٧- أن رؤيا الأنبياء حق وأنها نوع من أنواع الوحى بالنسبة له ﷺ.

٨- جمال صورة عيسى عليه السلام فى خلقه وخلقته وحسن مظهره.

٩- قبح منظر الدجال فى خلقه وخلقته وأفعاله.

١٠- يجوز تطويل الشعر للرجل إذا كان العادة والعرف يسمحان بذلك وفى عدم تشبه النساء بشرط نظافته والمحافظة عليه وحسن منظره وترجيله.

الحديث السابع

أولا : رواية البخارى

١٠٩- حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبنى قريش قمت فى الحجر ، فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »[١]

ثانيا : رواية مسلم

١٠٩- حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن عقيل عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »[٢] .

---

(١) خ/ك مناقب الأنصار، ب/ حديث الإسراء وقوله تعالى ﴿سبحان الذى أسرى...﴾.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٣).

الراوى الأعلى

جابر بن عبد الله ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الثانى من فتح المنان ص ٣٥١ .

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري صحابي بن صحابي غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين.

معانى المفردات

الحجـــر: حجر الكعبة وهو ما هواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال وعرف الآن بحجر إسماعيل وهو مكان أساسا من الكعبة ولا يصح الطواف إلا من خارجه.

فجـــلا: فكشف وأتضح، والجلى ضد الخفى وتجلـى الشـئ تكشـف ومعناه أن الله كشف له ونقل له صورة المسـجد الأقصـى فكان ينظر إليه ويصفه لهم.

آياتـــه: علاماته وأوصافه التى تدل على الذهاب إليه ورؤيته.

لما كذبتنى قريش: أى فى عدم تصديقهم رحلة الإسراء والمعراج عندما أخبرهم بذلك رسول الله ﷺ بعد الرحلة.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يرويه لنا سيدنا جابر بن عبد الله أحد أصحاب النبى ﷺ عن النبى ﷺ أنه عندما عاد من رحلة الإسراء والمعراج أخبر الصحابة رضوان الله عليهم قصد قوة ولكن قريشا كذبت هذا الأمر وقالوا لقد جاء بفريته العظمى لأنهم لم يستوعبوا أن يذهب الرسول ﷺ إلى بيت المقدس ويعود فى جزء من الليل وهذه الرحلة تأخذ شهرا بالإبل فطلبوا من النبى ﷺ أدلة على صدق قوله لأنهم ذهبوا مرارا إلى بيت المقدس ويعرفونه جيدا وهم يعلمون أن النبى ﷺ لم يذهب إلى هناك قبل ذلك قط فطلبوا منه علامات وإشارات وأضافة وحقيقة لبيت المقدس وكان ذلك فى حجر الكعبة وهو المكان الذى يطلق عليه الأن حجر إسماعيل عليه السلام وهو فى الجانب الشمال من الكعبة وكان الرسول يحلوله الجلوس فيه لأنه يعتبر جزءا من الكعبة فعندما سأله أهل قريش عن أوصاف بيت المقدس ومن طبيعة من يذهب فى رحلة مثل هذه لا يدقق فى هذه العلامات والأوصاف ولكن الله عز وجل أيده بأن نقل إليه صورة بيت المقدس وجعلها أمامه بقدرته يراها النبى ويصف لهم بيت المقدس وهو يرى البيت رؤيا العين أمامه وهم لا يرون شيئا فتعجب القوم من هذا الوصف وذكر العلامات والأوصاف الدالة على معجزة الإسراء ولكن كثيرا منهم لم يؤمنوا.

ما يستفاد من الحديث

١- أن رحلة الإسراء والمعراج كانت بالجسد والروح معا.

٢- تكذيب قريش للنبى رغم علمهم بصدقه ووصفهم لــه بالصــادق الأمين.

٣- أول من صدق المعجزة هو سيدنا أبو بكر الصديق من أجل هــذا لقب بالصديق.

٤- تأييد الله عز وجل لنبيه فى رحلته له بيت المقدس يصف لهم كما يشاؤا ليكون ابلغ للرد على المكذبين من قريش.

٥- أن المتعنت والمكذب لا يؤمن حتى وإن رآى الأمر واضحا وجليا أمامه ويعلم تماما بصدق ما يأتى به النبى.

الحديث الثامن

أولا : رواية البخارى

١١٠- حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو إسحاق الشيبانى قال سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) . قال حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.[1]

ثانيا : رواية مسلم

١١٠ - وحدثنى أبو الربيع الزهرانى حدثنا عباد - وهو ابن العوام - حدثنا الشيبانى قال سألت زر بن حبيش عن قول الله عز وجل (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال أخبرنى ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح[2] .

---

[1] خ/ك/ بدء الخلق، ب [illegible] قال [illegible] حدكم ﴿آمين﴾ والملائكة فى السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم [illegible]

[2] [illegible] الإيمان باب [illegible] (٧٥ [illegible]).

الراوي الأعلى

زر بن حبيش ﷺ

زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال بن جعالة بن نصر بن غاضرة الأسدى ثم الغاضرى أبو مريم مشهور من كبار التابعين أورده أبو عمر لإدراكه وقد روى عن عمر وعثمان وعلي وأبى ذر وابن مسعود والعباس وعبد الرحمن بن عوف وحذيفة وأبى بن كعب وغيرهم روى عنه إبراهيم النخعى وعاصم بن أبى النجود وعدى بن ثابت وإسماعيل بن أبى خالد وأبو إسحاق الشيبانى وآخرون.

وقال عاصم كان من أعرب الناس وكان بن مسعود يسأله عن العربية وقال أيضا عن زر خرجت من الكوفة فى وفد مالى هم إلا لقاء أصحاب محمد فلقيت عبد الرحمن بن عوف وأبيا فجالستهما وقال أيضا كان أبو وائل عثمانيا وزر علويا وكان مصلاهما فى مسجد واحد وكان أبو وائل معظما لزر وعنه قال كان زر أكبر من أبى وائل وقال بن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد قلت لزر كم أتى عليك قال عشرون ومائة سنة وروى بن أبى شيبة عن محمد بن عبيد عن إسماعيل مثله ومات سنة ثلاث وثمانين أو قبلها بقليل وروى الطبرانى من طريق أبى بكر بن عياش عن عاصم عن زر خطبنا عمر بالشام فذكر الحديث وقال البرديجى فى الأسماء المفردة فى التابعين زر بن حبيش كان جاهليا يعنى أدرك الجاهلية وكذا قال أبو أحمد الحاكم فى الكنى[1].

---

(1) الإصابة فى تمييز الصحابة ج:٢ ص ٦٢٢ - ترجمة رقم ٢٩٧٣

معانى المفردات

فكان قاب قوسين أو أدنى: أى فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم أو ما بين محمد وربه قـــاب قوسين أى قدر قوسين عربيين وهذا الأخير هو الأصح والقوس يذكر ويؤنث وهو مـــا كان يستخدم فى الحرب وفى الصيد ويجمع قيس و أقواس وقياس.

المعنى العام

هذا الحديث رواه لنا سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم عند مدارستهم لقوله سبحانه ﴿قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾[1] ذهب كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أن المقصود بهاتين الأيتين شدة الوحى الذى أوحى إلى النبى ﷺ فى هذه الليلة كان من جبريل عليه السلام مستندين فى ذلك إلى قول ابن مسعود ﷺ أنه رأى أن النبى جبريل له ستمائة جناح لكن الراجح والذى رأى أن النبى جبريل له بستمائة جناح لكن الراجح والذى يؤيده ظاهر الحديث أن الرسول ﷺ فى هذه الليلة عرج به إلى السموات العلا وعرج به إلى حضرة القدس وكان أقرب ما يكون من ربه فى هذه الليلة أى كان بينه وبين ربه مقدار قوسين عربيين وذلك بعد كتابة عن شدة القرب وأوحى الله إليه ما أوحى ومن بين ما أوحاه إليه فى هذه الليلة فريضة الصلاة.

ومن ذهب إلى القول بأن القرب فى هذه الليلة كان من جبريل هذا مردود عليهم لأن كان على مدار أكثر من عشر سنين ينزل جبريل عليه السلام بالوحى وكان يلتصق به ولم ينكر هذا أحد وفى الأحكام وقربه منه دفعة لشأن جبريل فكيف يكون هو المقصود هنا، وكيف

---

(١) سورة النجم الأنبياء ٩،١٠

تتحقق معجزة الإسراء والمعراج هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الناظر إلى قوله تعالى ﴿فأوحى إلى ربه﴾[1] أن الضميرة يعود إلى الله والمعيد هو الرسول بدليل قوله تعالى ﴿سبحان الذى أسرى بعبده﴾[2] إذا أن النبى ليس عبد لجبريل ولكنه عبد الله عز وجل، والمتأول لذلك.

يقول أن هناك محذوف والتقدير فأوحى إلى عبد الله ومن المعلوم أن لا يلجأ إلى التأويل إلا عند استحالة المعنى.

ومن ناحية أخرى: فقد زيلت الآية بقول ما أوحى إشارة إلى الأختبار فيما يوحى به وهذا ألا يكون إلا لله عز وجل أما جبريل كان ينزل يوحى فهو مبلغ رسول ومبلغ ومكلف من قبل الله ولا يستطيع أن يزيد أو ينقص فيما يأتى به.

سورة النجم آية ١٠

سورة الاسرا[illegible] ٢

ما يستفاد من الحديث

١- مدارسة الصحابة أن والسنة النبوية المطهرة.

٢- بيان منزلة النبى ﷺ حيث أنه أرتقى إلى مكان لن يصل إليه أحد قبله ولا أحد بعده.

٣- أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، رآها النبى ﷺ مرادا كما أخبر بذلك الصحابة.

٤- قرب النبى ﷺ من ربه قربا شديدا كما أشار إلى ذلك القرآن بقوله ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.

٥- أوحى الله إلى النبى ﷺ فى هذه الليلة بها رأى عيانا بلا واسطة من بين ما أوحى إليه الصلاة.

الحديث التاسع

أولا : رواية البخاري

١١١- حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة - رضى الله عنها - يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ، من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) . (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية ، ولكنه رأى جبريل - عليه السلام - فى صورته مرتين .[١]

---

[١] خ/ك / التفسير -سورة النجم، ب/ حدثنا يحيى.

ثانيا : رواية مسلم

١١١ - حدثنى زهير بن حرب حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود عن الشعبى عن مسروق قال كنت متكئا عند عائشة فقالت يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية . قلت ما هن قالت من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى ألم يقل الله عز وجل (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) . فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض » . فقالت أولم تسمع أن الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) أولم تسمع أن الله يقول (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) قالت ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) . قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) [1].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٤ - ٧٥).

الراوى الأعلى

عائشة أم المؤمنين ﵂

سبق ترجمتها فى الجزء الثانى من فتح المنان ص٣٣٤

عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين تزوجها النبي (ص) قبل الهجرة بسنتين وهي بكر وكناها بأم عبد الله وهي أشهر نساء النبي وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس.

معانى المفردات

لقد قف شعرى: قام شعرى كأنه وقف وهذا يحدث عند الدهشة من أمر غريب وهو تعبير يستعمل حاليا عند الخوف تقول شعرى وقف وهذا كناية عن الحالة النفسية التى يكون فيها الإنسان عند الخوف والدهشة.

يا أمتاه: أى يا أمى ومعلوم أن زوجات الرسول ﷺ هن أمهات المؤمنين بنص القرآن، وأزواجه أمهاتهم.

وراء حجاب: خلف سور أو حائط أو ساتر.

تدركه: تراه أو تحيطه.

تدرى: تعلم.

وحيا: الوحى هو مبلغ ما أراد الله تعالى إلى عباده عن طريق الرسول السماوى بالرسول الأرض يعنى جبريل عليه السلام والنبى ﷺ.

المعنى العام

هذا الحديث برواية عائشة ﷺ كان الصحابة رضوان الله عليهم عند مدارستهم لقوله سبحانه ﴿قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [1] ذهب كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أن المقصود بهاتين الأيتين شدة الوحى الذى أوحى إلى النبى ﷺ فى هذه الليلة كان من جبريل عليه السلام مستندين فى ذلك إلى قول ابن مسعود ﷺ أنه رأى أن النبى جبريل له ستمائة جناح لكن الراجح والذى رأى أن النبى جبريل له ستمائة جناح لكن الراجح والذى يؤيده ظاهر الحديث أن الرسول ﷺ فى هذه الليلة عرج به إلى السموات العلا وعرج به إلى حضرة القدس وكان أقرب ما يكون من ربه فى هذه الليلة أى كان بينه وبين ربه مقدار قوسين عربيين وذلك بعد كتابة عن شدة القرب وأوحى الله إليه ما أوحى ومن بين ما أوحاه إليه فى هذه الليلة فريضة الصلاة.

ومن ذهب إلى القول بأن القرب فى هذه الليلة كان من جبريل هذا مردود عليهم لأن كان على مدار أكثر من عشر سنين ينزل جبريل عليه السلام بالوحى وكان يلتصق به ولم ينكر هذا أحد وفى الأحكام وقربه منه دفعة لشأن جبريل فكيف يكون هو المقصود هنا، وكيف تتحقق معجزة الإسراء والمعراج هذا من ناحية ومن ناحية أخرى

---

[1] سورة النجم الأنبياء ٩،١٠

الناظر إلى قوله تعالى ﴿فأوحى إلى ربه﴾[1] أن الضميرة يعود إلـى الله والمعيد هو الرسول، بدليل قوله تعالى ﴿سبحان الذى أسرى بعبـده﴾[2] إذا أن النبى ليس عبد لجبريل ولكنه عبد الله عز وجل، والمتأول لذلك.

يقول أن هناك محذوف والتقدير فأوحى إلى عبد الله ومن المعلوم أن لا يلجأ إلى التأويل إلا عند استحالة المعنى.

ومن ناحية أخرى: فقد زيلت الآية يقول ما أوحى إشـارة إلـى الأختبار فيما يوحى به وهذا ألا يكون إلا الله عز وجل أما جبريل كـان ينزل يوحى فهو مبلغ رسول ومبلغ ومكلف من قبل الله ولا يسـتطيع أن يزيد أو ينقص فيما يأتى به.

---

(1) سورة النجم آية ١٠

(2) سورة الإسراء آية ١

ما يستفاد من الحديث

٦- مدارسة الصحابة أن والسنة النبوية المطهرة.

٧- بيان منزلة النبى ﷺ حيث أنه أرتقى إلى مكان لن يصل إليه أحد قبله ولا أحد بعده.

٨- أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح، رآها النبى ﷺ مـــرادا كما اخبر بذلك الصحابة.

قرب النبى ﷺ من ربه قربا شديدا كما أشار إلى ذلـــك القـــرآن بقوله ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾.

١٠- أوحى الله إلى النبى ﷺ فى هذه الليلة بها رأى عيانا بلا واسطة من بين ما أوحى إليه الصلاة.

الحديث العاشر

أولا : رواية البخارى

١١٢ – حدثنا محمد بن عبد الله بن إسماعيل حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى عن ابن عون أنبأنا القاسم عن عائشة – رضى الله عنها – قالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم ، ولكن قد رأى جبريل فى صورته ، وخلقه ساد ما بين الأفق .[١]

ثانيا : رواية مسلم

١١٢– وحدثنا ابن نمير حدثنا أبو أسامة حدثنا زكرياء عن ابن أشوع عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة فأين قوله (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) قالت إنما ذاك جبريل صلى الله عليه وسلم كان يأتيه فى صورة الرجال وإنه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسد أفق السماء[٢] .

---

[١] خ/ك/ بدء الخلق، ب/ إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة فى السماء.

[٢] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٥ - ٧٩).

الراوى الأعلى

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

سبق ترجمتها فى الجزء الثانى من فتح المنان ص٣٣٤

معاني المفردات

أغظـــــم : دخل فى أمر عظيم كأنه ارتكب كبيرة من الكبائر.

صورته : يعنى هيئته أو خلقته التى خلقه الله عليها.

الأفـــق : السماء والأفق يعنى العلو وهو الناحية والجمع آفـاق والمقصود من ناحية الشمس فسحب الضوء أو سد ما بين السماء والأرض.

المعنى العام

هذه الأحاديث الشريفة السابقة تتعلق بثلاث مسائل هى:-

الأولى: رؤية الرسول ﷺ لله عز وجل ليلة الإسراء والمعراج.

الثانية: علم الغيب أو ما سيحدث مستقبلا وهو ما يسمى بالتنبوء أو التكهن.

الثالثة: أن الرسول ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه ولم يكتم منه شيئا.

أما عن المسألة الأولى: وهى رؤية الرسول ﷺ لربه فهى ثابتة بنص القرآن الصريح وإذا راجعت سورة النجم تجد ذلك واضحا ومن أنكرها لجأ إلى التأويل ومعلوم أنه لا يلجأ إلى التأويل إلا عند استحالة المعنى فكبار الصحابة رضوان الله عليهم أمثال أبى هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبى ذر وكعب والحسن ومن ذهب معهم من الملحدين الائمة مثل أحمد بين حنبل جميعهم رضى الله عنهم يذهبون إلى أن الرسول ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج بعينه وبعض كان يحلف على ذلك لكن السيدة عائشة رضي الله عنها فى هذا الحديث تنكر الرؤية فعندما سألها مسروق قالت قف شعرى أى وقف شعرى وهذه الكلمة تقال عند هول المفاجئة وللحديث ولاندهاش تقول شعرى وقف وأستدلت بالآية

﴿لا تدركه الأبصار﴾[1] معلوم أن الله سبحان وتعالى منزه عن صفات المخلوقات لكن الرؤية لیلة الإسراء كانت بمقاییس الآخرة أما بمقاییس الدنيا فهي مستحيلة على الله عز وجل وهذا ما أرادته السيدة عائشة أما ما ذهب إليه غيرها الصحابة فهم يرون أن الرؤية كانت بالقلب والبصيرة وليست بالعين المجردة فالرؤية تمت بمقاييس الآخرة وليست بمقاييس الدنيا من جعل المرئى فى جهة ومنها اتصال وغيرها أو رآه بعين الله وسمعهم بإذن الله مصداقا لقوله ﴿أنه هو السميع البصير﴾[2] فأقرب من مذكور فى الآية هو الرسول ﷺ والضمير يعود إليه ومعنى ذلك أن الله تجلى عليه بسمع من سمعه وبصر من بصره ليراه ويسمعه فى هذه الليلة.

فلا تعارض بين الرأيين فالسيدة عائشة تنكر الرؤية بمعنى الإحاطة والإدراك وهذا لا يختلف عليه أحد وأيضا احتجت على رأيها بالاستدلال من القرآن ولم تبنه على قوله رسول الله ﷺ والاستدلال يختلف من شخص لأخر وقد سقط إذا تطرق إليه الاحتمال.

أما عن المسألة الثانية: وهى علم الغيب أو ما فى علم الله تعالى وهذا أمر أستأثر الله سبحانه وتعالى بعلمه قال تعالى ﴿وما تدرى نفس

---

[1] سورة الأنعام آية ١٠٣

[2] سورة الإسراء آية ٢١

ماذا تكسب غدا﴾[1] وهذا الغيب لا يطلع عليه أحد إلا من أراد الله أن يطلعه على بعض غيبة كما أخبرنا الرسول ﷺ عن أمور ستحدث وحدثت مصداقا لقوله ﴿فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول﴾[2].

أما من ينجه وينبأ بالمستقبل فهذا أنهى عنه وهذا كذب وبهتان قد يصدقون بالمصادفة والغالب هم كذابون ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن الذهاب إليهم قال ﷺ (من أتى عرافا أو كاهنا أو خالطا فقد كفر بما أنزل على محمد ......).

أما عن المسألة الثالثة: وهى بلاغ الرسول ﷺ بعض ما نزل من القرآن وهذا ما يراه بعض أعداء الإسلام من اليهود والمنافقين والكفار. وهذا الأمر واضح ولا يحتاج إلى أدلة غير التى جاءت فى القرآن الكريم عتاب الله لرسوله فى قوله ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[3] فلو كتم شيئا لكان أدلى أن يكتم هذا العتاب.

ففى الآية الكريمة دلالة على أن الرسول ﷺ ما كتم ما أمر بتبلغه عن رب العزة سبحانه وتعالى ولكن الله سبحانه قد حذره من كتمان شئ

[1] سورة لقمان آية ٣٤.

[2] سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

[3] سورة الاحزاب آية ٦٧.

— ولو على سبيل الفرض بديل قوله تعالى فى سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتيد فما منكم من أحد عنه حاجزين) [1] فهذا دليل على أنه ﷺ بلغ ما أنزل إليه فضلا عن الأمر النازل إليه من رب العزة سبحانه بالتبليغ فى قوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) [2].

والله أعلم

---

[1] سورة الحاقة آية (٤٤،٤٥،٤٦،٤٧).

[2] سورة المائدة آية " ٦٧ " .

المباحث الفقهية

وقال عياض: رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلا، وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين فى الآخرة، وأما فى الدنيا فقال مالك: إنما لم ير سبحانه فى الدنيا لأنه باق، والباقى لا يرى بالفانى، فإذا كان فى الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقى بالباقى.

فإن قلت كيف التوفيق بين نفى عائشة الرؤية واثبات ابن عباس اياها (قلت) يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب والدليل على هذا ما رواه مسلم من طريق أبى العالية عن ابن عباس فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى. ولقد رآه نزله أخرى) [1] قال رأى ربه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه وأصح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضا عن ابن عباس قال لم يره رسول الله ﷺ بعينه إنما رآه بقلبه وقد رجح القرطبى قول الوقف فى هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه لأنه ليس فى الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليس المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وانما هى من المقدمات فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى ومال ابن خزيمة فى كتاب التوحيد إلى الإثبات واطنب فى الاستدلال وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه والله أعلم.

---

(١) [illegible] ١٣،١١).

ما يستفاد من الحديث

١- أن الرسول ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء والمعـــراج بعيـن قلبـه وبمقاييس الآخرة ولم يره بمقاييس الدنيا.

٢- أن الغيب لا يعلمه إلا الله فالكهنه والعرافون والمنجمـــون فإنـــهم يحاولون معرفة بعض الأشياء من الجن الذين يحاولون أن يسترقوا السمع من السماء.

٣- أن الرسول ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه من السماء ولو كتم شـــيئا لكان أولى أن يكتم آيات العتاب التى جاءت فى القرآن الكريم.

٤- حرص السيدة عائشة رضى الله عنها علـــى توضيـــح المعـــانى والمسائل الهامة التى تتعلق بالعقيدة.

٥- أن الإسلام دين يحمى اتباعه من الانحرافات و الخرافات والدجـل والشعوذة وغيرها من الأمور التى تهلك النـــاس وتنغـص عليـــهم حياتهم.

الحديث الحادى عشر

أولا : رواية البخارى

١١٣- حدثنا عبد الله بن أبى الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه فى جنة عدن »[١]

ثانيا : رواية مسلم

١١٣- حدثنا نصر بن على الجهضمى وأبو غسان المسمعى وإسحاق بن إبراهيم جميعا عن عبد العزيز بن عبد الصمد – واللفظ لأبى غسان قال حدثنا أبو عبد الصمد – حدثنا أبو عمران الجونى عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن »[٢].

---

(١) خ/ك / التفسير، سورة الرحمن، ب ﴿ومن دونهما جنتان﴾ الرحمن آية (٦٢).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٧٥ - ٧٩).

الراوي الأعلى

عبد الله بن قيس ﷺ

عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ذكر العسكرى أنه رأى النبى ﷺ وآله وهو صغير وأبوه صحابى يأتى ذكره وروى هو عن أبيه وزيد بن خالد وأبى هريرة وأبن عمر روى عنه إبناه محمد والمطلب وإسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق صاحب المغازى ووثقه النسائى وعمل لعبد الملك بن مروان على العراق وولى المدينة فى أول إمرة الحجاج وذكره البخارى وأبو حاتم وإبن حبان فى التابعين وذكره فى الصحابه أبن أبى خيثمة البغوى وإبن شاهين واستدركه أبو موسى من أجل حديث وهم فيه بعض الرواة قال إبن أبى خيثمة حدثنا إبن أبى أويس حدثنى أبى عن عبد الله بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عبد الله بن قيس بن مخرمة قال قلت لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ فصلى ركتين ركعتين حتى صلى ثلاث عشرة ركعة الحديث .. أخرجه البغوى عن بن أبى خيثمة وقال يشك فى سماعه وأخرجه بن شاهين عن البغوى استدركه أبو موسى من طريق بن شاهين قال البغوى رواه مالك فى المؤطأ عن عبد الله بن أبى بكر عن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عبد الله بن قيس عن زيد بن خالد الجهنى قال قلت لارمقن فذكر الحديث.

قلت وهذا هو الصواب وهكذا أخرجه مسلم وأصحاب السنن من طريق مالك وأبو أويس كثير الوهم فسقط عليه الصحابى وسماع أبى أويس كان مع مالك فالعمدة على رواة مالك ولولا قول العسكرى أن لعبد الله بن قيس رؤية لم أذكره إلا فى القسم الرابع ولو كما قال العسكرى لكانت له

رواية عن عمر فمن يقاربه ولم يوجد ذلك والله أعلم ووقع لابن منده فيه خبط ذكرته فى ترجمة عبد الله بن قيس بن عكرمة فى القسم الرابع [1].

---

[1] [illegible] الصحابة ج: ٥ ص [illegible]

معاني المفردات

جنتـــان: الجنة هى البستان والحديقة ومكان الاستمتاع ولذلك أطلق على المكان الذى أعده الله لعباده الصالحين فى الآخــرة ليتنعمــوا فيه.

آنيتهمـــا: الإناء الوعاء وجمعة آنية وجمع الآنية أوان وهى ما يستخدم للطعام والشراء.

رداء الكبر: الرداء الذى يلبس وتثنيته رداء آن ورد وان وارتـــدى أى لبس الرداء ، وهو فى حق الله عز وجل كناية عـــن الســتر والحجاب الذى بينه وبين خلقه.

جنة عدن: جنان عدن أى جنات إقامة بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ومنه سمى المعدن ومركز كل شئ معدنـــه فجنة عدن هى وسط الجنات ومركزها.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يتعلق بالمسألة الأولى التى شرحناها فى الحديث السابق ولكنه جاءت زيارة فا رواية الأمام مسلم عن سؤال الصحابة للسيدة عائشة عن معنى قوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ (١).

والسيدة عائشة تركز على أن من زعم وفهم أن الرسول ﷺ رأى ربه بمقاييس الرؤية الدنيوية فقد دخل فى أمر عظيم وكبير وفى بعض الروايات أعظم على الله وهى الكذبة الكبيرة.

لأنه لا يثبت له سبحانه وتعالى صفات خلقه من الحوادث وهذا مستحيل على الله سبحانه وتعالى أما الرؤية بمقاييس الآخرة فلم ينصرف إليه الحديث.

وأما عن معنى قوله ﴿ثم دنا فتدلى﴾ فالبعض يرى أن الدنون يعنى به جبريل عليه السلام وهذا المعنى بصيد ولكن الدنو والقرب كان من رب العزة سبحانه وتعالى وهذا هو الواضح من النص ومن ذهب إلى ذلك لبيان عظيم منزلة النبى ﷺ عند ربه واستراق أنوار معرفته عليه.

وأرى أن الدنو كان للرسول ﷺ فقد دنا من ربه وقرب وتدلى جبريل وبعد عن هذا المكان فالدنو للرسول ﷺ والتدلى لجبريل عليه

(١) سورة النجم آية(٨).

السلام وقال بعض العلماء هذا على التقديم والتأخير لأن المعنى ثم تدلى فدنا لأن التدلى سبب الدنو قال (بن الأعرابى: تدلى دون قرب من علو) ثم تبين السيدة عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ رأى جبريل عليه السلام فى صورته الحقيقة وهذا لا يتعارض فى فهم الحديث فإذا كان رأى ربه فمن باب أولى يرى جبريل وقد ثبت رؤيته لجبريل عليه السلام على صورته الحقيقية فى أول نزول الوحى عند فتور الوحى وانقطاعه فعندما عاد إليه الوحى رآى جبريل أثناء عودته من حراء كما جاء فى كتب السيرة النبوية وفى هذه الليلة تكررت الرؤية وهذا المعنى لا يتعارض مع ظاهر نص الحديث.

ما يستفاد منه الحديث

١- تنزيه الله سبحانه وتعالى عن صفات الحوادث والمخلوقات.

٢- علو منزلة الرسول ﷺ وقربه من ربه في ليلة الإسراء والمعراج.

٣- عظمة خلق جبريل عليه السلام فله ستمائة جناح كل جناح يرافق الشمس ، ويسد الأفق.

الحديث الثاني عشر

أولا : رواية البخارى

١١٤ - حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة قال « هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » . قالوا لا يا رسول الله . قال « فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب » . قالوا لا . قال « فإنكم ترونه كذلك ، يحشر الناس يوم القيامة ، فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع . فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا . فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهرانى جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم . وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان » . قالوا نعم . قال « فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو ، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ،

فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرم الله على النار أن تـأكل أثر السجود فيخرجون من النار ، فكل ابن آدم تأكلـه النـار إلا أثـر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحيـاة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، ثم يفرغ الله من القضـاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة ، مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهى عن النار ، قد قشبنى ريحها ، وأحرقنى ذكاؤها . فيقول هل عسيت إن فعل ذلـك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك . فيعطى الله ما يشاء من عهد وميثاق ، فيصرف الله وجهه عن النار ، فإذا أقبل به على الجنـة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت ، ثم قال يا رب قدمنى عند بـاب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسـأل غير الذى كنت سألت فيقول يا رب لا أكون أشقى خلقك . فيقول فمـا عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك . فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى باب الجنـة ، فإذا بلغ بابها . فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت ، فيقول يا رب أدخلنى الجنـة . فيقـول اللـه ويحك يا ابن آدم ما أغدرك ، أليس قد أعطيت العهد والميثـاق أن لا تسأل غير الذى أعطيت فيقول يا رب لا تجعلنى أشقى خلقك . فيضحك الله - عز وجل - منه ، ثم يأذن له فى دخول الجنة فيقـول تمـن .

فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته قال الله عز وجل تمن كذا وكذا . أقبل يذكره ربه ، حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه » . قال أبو سعيد الخدرى لأبى هريرة – رضى الله عنهما – إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله لك ذلك وعشرة أمثاله » . قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله « لك ذلك ومثله معه » . قال أبو سعيد إنى سمعته يقول « ذلك لك وعشرة أمثاله »[1].

---

[1] خ/ك / الأذان، ب/ فضل السجود.

ثانيا : رواية مسلم

١١٤- حدثنى زهير بن حرب حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبى عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة أخبره أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر » . قالوا لا يا رسول الله . قال « هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب » . قالوا لا يا رسول الله . قال « فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه . فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منا فقوها فيأتيهم الله - تبارك وتعالى - فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم . فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه . فيأتيهم الله تعالى فى صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا . فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم . وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان » . قالوا نعم يا رسول الله . قال « فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقى بعمله

ومنهم المجازى حتى ينجى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله . فيعرفونهم فى النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود . فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أى رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحرقنى ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره . فيقول لا أسألك غيره . ويعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب قدمنى إلى باب الجنة . فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول أى رب ويدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره . فيقول لا وعزتك . فيعطى ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت

ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أى رب أدخلنى الجنة . فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك . فيقول أى رب لا أكون أشقى خلقك . فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة . فإذا دخلها قال الله له تمنه . فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قال الله تعالى ذلك لك ومثله معه » . قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدرى مع أبى هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا . حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل ومثله معه . قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة . قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه . قال أبو سعيد أشهد أنى حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشرة أمثاله . قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة[1].

---

(1) أ[illegible] د[illegible] الإيمان باب (

الراوى الأعلى

أبى هريرة ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص٣٤

معانى المفردات

تضارون: بالضم تخالفون أحد وتنازعونه وبعضهم يقولها فتح التـــاء أى لا تضامون ولا تمنعون ولا يحجب بصركم لعارض.

كانت: أى السماء.

صحوا: أى ذات صحو أى انقشع عنها الغيم.

غبرات: أى بقايا وغبر الشىء بقى.

السراب: ما يتراوى وسط النهار من الحر الشديد يلمع كالماء.

ونحن أحوج منا إليه اليوم: أى فارقنا الناس فى الدنيا وكنا فـــى ذلـــك الوقت أحوج إليهم منا فى هذا اليوم فلعل ما هنا تحريـف إذا لا مرجع بضمير الإفراد وهو بضمير الإفراد متنـــــا وشرحا.

طبقا واحدا: أى فقره واحدة فلا يقدر علّى السجود.

مدحضة مذلة: الدحض ما يكون عند الزلق والمذلة موضع ذلك الأقـــدام ودحضت رجله زلقت والإوحاض الإزلاق.

خطا طيف: جمع خطاف وهو الحديد المعوجة كالكلوب يختطـــف بـــها الشىء.

حسكة: نبات مغروس فى الأرض ذو شوك ينشبك فيه كل من مر بـــه وهو شجر السعدان والمسك ما يعمل من الحديد علـــى مثالـــه وهو من آلات العسكر.

مفلطحة: فيها عرض واتساع واسعة الأعلى **دقيقة** الأسفل.

عقيفاء: معوجة والتعقيف التعويج.

كالطرف: كالمح بالبصر.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يبين أن من فضل الله ونعمته على المؤمنين فى الآخرة كشفة للحجب عليهم برؤية سبحانه وتعالى ولا يـرى الله إلا من دخل الجنة.

والجنة درجات فهى ثمان جنات بعضها من الفضـة الخالصـة والجنة كل ما فيها من أوانى وغيرها كالفرش ووسائل المتعة والراحـة ووسائل الانتقال وغيرها فكان من فضة خالصة ومعلوم أن فضة الآخرة أو الجنة بالذات غير فضة الدنيا فالاشتراك فى التسمية فقط لكن الجوهر مختلف.

وبعض هذه الجنات من ذهب خالص أوانيها وكل ما فيـها مـن وسائل المتعة والترفيه والانتقال وهذه أعلى من الجنة السابقة لأن الذهب أعلى من الفضة وكما قلنا الذهب يشبه ذهب الدنيا فـى التسـمية أمـا الجوهر مختلف ثم يبين الرسول ﷺ بعد ذلك أن المؤمنين إذا وصلـوا جنة عدن ودخلوها تجل المولى عليهم بإزالة الحجب التى بينـه وبـين خلقه فينظرون إلى نور وجهه الكريم فتكون هذه هى الزيادة التى جـاء ذكرها فى قوله ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ (١). فالحسنى الجنة والزيـادة هى النظر إلى وجهه الكريم وقوله ﷺ (وما بين القوم وبين أن ينظروا

(١) سورة يونس آية(٢٦).

إلى ربهم إلا رداء الكبرياء فى جنة عدن)

قال العلماء: كان النبى ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه ويقرب الظلام إلى أفها مهم ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها فغير ﷺ عن زوال المانع ورفعة عن الأبصار بإزالة الرداء.

وقوله ﷺ (فى جنة عدن) أى الناظرون فى جنة عدن نهى طرف للناظر إلى الله سبحانه وتعالى ينظر منها أو يرى عندما يأتى إليها ويرتقى إلى هذه الرتبة من الجنات فجنة عدن أعلى الجنان ومنهم من قال هى الفردوس الأعلى والبعض يرى أن عدن أعلى من الفردوس.

ما يستفاد من الحديث

١- رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة واقعة بنص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

٢- أن الجنة درجات وهى تكون حسب منزلة كل عبد وعمله فى الدنيا تكون درجته فى الآخرة.

٣- جواز التشبيه لتقريب المعنى واستعمال الاستعارة للاستيعاب وفهم النصوص.

٤- أن جنة عدن أعلى الجنات.

الحديث الثالث عشر

أولا : رواية البخاري

١١٥ - حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا » . قلنا لا . قال « فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ ، إلا كما تضارون في رؤيتهما - ثم قال - ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون . فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم . وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر ، وغبرات من أهل الكتاب . ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيقال لليهود ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيز ابن الله . فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون قالوا نريد أن تسقينا . فيقال اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون فيقولون نريد أن تسقينا . فيقال اشربوا ، فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنا سمعنا مناديا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون . وإنما ننتظر

ربنا – قال – فيأتيهم الجبار . فيقول أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا . فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق . فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة ، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ، ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم » . قلنا يا رسول الله وما الجسر قال « مدحضة مذلة ، عليه خطا طيف وكلاليب وحسكة مفلطحة ، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى نار جهنم ، حتى يمر أخرهم يسحب سحبا ، فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق ، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ، وإذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا . فيقول الله تعالى اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه . ويحرم الله صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غاب فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه . فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . فيخرجون من عرفوا » . قال أبو سعيد فإن لم تصدقونى فاقرءوا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك

حسنة يضاعفها) « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتى . فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشـــوا ، فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة ، فينبتون فى حافتيـــه كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلـــى جانب الشجرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منـــها إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل فـــى رقابـــهم خواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه . فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه»[1].

---

[1] خ/ك / ا[illegible] ب/ قوله تعـ[illegible] جوه يومئذ ناضرة﴾ سورة القيامة

ثانيا : رواية مسلم

١١٥ - وحدثنى سويد بن سعيد قال حدثنى حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن ناسا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » . قال « هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب » . قالوا لا يا رسول الله . قال « ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد . فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيز ابن الله . فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا . فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار . ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله . فيقال لهم كذبتم . ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد . فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا . - قال - فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم

كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها . قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم . فيقول أنا ربكم . فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا - مرتين أو ثلاثا - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم . فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه . ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم . فيقولون أنت ربنا . ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم » . قيل يا رسول الله وما الجسر قال « دحض مزلة . فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم . حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون

ويحجون . فيقال لهم أخرجوا من عرفتم . فتحرم صورهم على النـــار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثـــم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول ارجعـــوا فمـــن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقا كثـــيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا . ثم يقول ارجعوا فمـــن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه . فيخرجون خلقـا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا . ثم يقول ارجعـــوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه . فيخرجـــون خلقـــا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا » . وكان أبو سعيد الخـــدرى يقول إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم (إن الله لا يظلـم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيمـــا) « فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنـــون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومـــا لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونـــها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضـــر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض » . فقالوا يا رسول الله كـــأنك كنت ترعى بالبادية قال « فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملـوه

ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين . فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أى شىء أفضل من هذا . فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » .

قال مسلم قرأت على عيسى بن حماد زغبه المصرى هذا الحديث فى الشفاعة وقلت له أحدث بهذا الحديث عنك أنك سمعت من الليث بن سعد قال نعم . قلت لعيسى بن حماد أخبركم الليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أنه قال قلنا يا رسول الله أنرى ربنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تضارون فى رؤية الشمس إذا كان يوم صحو » . قلنا لا . وسقت الحديث حتى انقضى آخره وهو نحو حديث حفص بن ميسرة . وزاد بعد قوله بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه « فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه » . قال أبو سعيد بلغنى أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف . وليس فى حديث الليث « فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين » وما بعده فأقر به عيسى بن حماد[1] .

---

(١) [illegible]ان باب (٧٩).

الراوي الأعلى

أبي سعيد الخدري ﷺ

سبق ترجمته في الجزء الأول من فتح المنان ص ٣٤١

أبي سعيد الخدري : أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي صحابي جليل من فقهاء الصحابة شهد أول غزوة له غزوة الخندق وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم اثنا عشر غزوة وروى عن الرسول (ص) أحاديث كثيرة وأسند عن الرسول (ص) ثمانية وسبعون حديثاً وتوفي سنة ٧٤ هـ وهو ابن ٨٦ سنة.

معانى المفردات

تمارون: من المماراة وهى المجادلة والشك فى الرؤية أى رؤية القمر عندما يصير بدرا فى ليلة ليس فيها سحاب أو ضباب.

الطواغيت: جمع طاغوت الشيطان أو كل رأس فى الضلال أو الصنم.

ظهرا فى جهنم: أى ظهرى جهنم فزيدت الألف والنون للمبالغة أى على وسط جهنم.

يجوز: جاز وأجاز بمعنى أى يقطع مسافة الصراط.

الكلاليب: جمع كلوب مثل تنور، خشبة فى رأسها عقافة فيها أو من حديد.

السعدان: نبات له شوك من جيد مراعى الإبل.

يوبق: يهلك.

يخردل: يقطع صغار كالخردل.

أمتحشوا: احترقوا واسودوا.

الحبه: بذور الصحراء مما ليس بقوت جميل السبل ما جاء به من طين ونحوه.

قبل النار: جهتها.

قشبنى: سمنى وأهلكنى.

ذكاؤها: لبها واشتعالها وشده وهجها.

فيضحك الله: ضحيك بالكسر ضحيكا بوزن علم وفهم والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعلم حاله ويفهم ويستجيب إليه ويدخله الجنة.

انقطعت أمنيته: بمعنى توقف فى الشيء الذى يتمناه إما لقصر نظره وعلمه بفضل الله عز وجل وإما لهول الموقف وتمنى الكتاب قرأه، قال تعالى ﴿**ومنهم أميون لا يعلمون فى الكتاب إلا أمانى**﴾ [1].

كأجاويد الخيل: جمع أجواد جواد وهى الفرس السابق الجيد.

والركاب: الإبل واحدتها الراحلة من غير لفظها.

مخدوش: مخموش:ممزق

مكدوس: مصروع.

مناشدة: مطالبة.

امتحشوا: احترقوا.

أفواه الجنة: جمع فوه سمع مع العرب على غير قياس وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها المراد هنا مفتتح مسالك قصور الجنة.

فى حافتيه: جانبى النهر.

الحبة: اسم جامع لحبوب البقول.

حميل السيل: ما يحمله من نحو طين، فإذا اتفقت فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت فى يوم وليلة فشبه به بالسرعة نباته وحسنه كالطمى الذى يكون مجرى السيل فإن النبات فيه يزدهر بسرعة.

---

[1] سورة البقرة آية(٧٨).

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يتعلق برؤية الله عز وجل فى الآخرة وهى واقعة للمؤمنين بنص القرآن الكريم ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربهم ناظرة﴾ [١].وبنص الأحاديث التى يبن أيدينا.

وهناك بعض الآراء وعلماء الكلام نفوا هذه الرؤية وأولو صريح القرآن والسنة ولكنهم وقعوا فى خطأ لأن نفيهم أعتمد على مقاييس الدنيا للرؤية فى الآخرة بمقاييس أخرى.

والذى عليه الصواب هو جمهور العلماء وأهل السنة والجماعة من أن الرؤية فى الآخرة واقعة للمؤمنين بالنص الصريح للقرآن الكريم والسنة النبوية لذلك سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن هذه الرؤية وكان الرسول ﷺ يضرب لهم بعض الأمثال والتشبيهات ليوضح لهم المعنى ويقربه إلى أذهانهم فقال لهم.

هل تجادلون فى رؤية القمر ليلة تامة وكونه بدرا فى ليلة صافية من السحب قالوا لا فقال لهم هل تجادلون فى رؤية الشمس وقت الظهيرة وليس هناك سحب ولا حجب قالوا لا يا رسول الله فقال لهم ﷺ أنكم سترون ربكم رؤية بغير سحاب مثل هذه الرؤية.

---

[١] سورة القيامة آية(٢٢،٢٣).

ورؤية الله عز وجل ستكون بعد دخول الكفار إلى النار فيوم الحشر ينادى مناد من قبل الله من كان يعبد شيئا فليتبعه ليتضح للذين أشركوا أن الذين عبدوهم وهم من دون الله لا يغنوا عنهم شيئا و لا على أنفسهم فمن كان يعبد الشمس يتبعها ومن كان يعبد القمر يتبعه ومن كان يعبد النار يتبعها ومن كان يعبد الطواغيت وهى كل ما سوى الله من أصنام وشياطين وكهنة سواء كانوا من الأنس أو الجن فيتبع ما عبده فى الدنيا.

ثم يأتى الله سبحانه وتعالى إلى خلقه فى صورة غير التى يعرفوها وغير التى سبقت فى قلوبهم ليختبرهم فيقولون إذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الحق فى صورته التى عرفوها فيقولون نعم أنت ربنا وخالقنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور ويأمر بالصراط وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف وهو يضيق ويتسع حسب الأعمال ويكون فوق جهنم.

وأول من يجوز هذا الصراط ويمر فوقه هو سيدنا رسول الله ﷺ وأمته وهذا اليوم لا يتكلم فيه أحدا إلا الرسل عليهم السلام وذلك للهول الذى يكون فيه وكلام الرسل فى هذا اليوم دعاء بالسلامة من هذا اليوم فيقولون يا رب سلم يا رب سلم.

وعلى هذا الجسر تنصب كلاليب من حديد كالخالص لها بروزات كثيرة فى اتجاهات متعددة أشبه بشوك السعدان الذى يعرفه

أهل البادية وهذه الكلاليب تخطف الناس من على الصراط وتلقى بـــهم فى النار كل على حسب عمله فمنهم من يلغى فى النار ومنهم من يقطع قطع صغيرة.

ثم تتجلى رحمة الله سبحانه وتعالى فيأمر الملائكة أن يخرجــوا من النار من كان يعبد الله فى الدنيا ولكنه قصر فى العبادة أو أرتكـــب من الذنوب والأثام أكثر من أعماله الصالحة.

فتخرجهم الملائكة وقد عرفوهـــم بمواضــع الســجود لأن الله سبحانه وتعالى قد حرم على النار أن لا تأكل مواضع السجود من بنـــى آدم ويخرجون من النار وقد احترقوا فيصب عليهم من ماء الحياة فتعود إليهم أجسامهم من جديد فينبتون كما تنبت الحبة إذا وضعت فى الأرض وصب عليها الماء.

ثم يبين لنا الرسول ﷺ موقفا فى هذا اليوم يبين مـــدى طمـــع الإنسان وعدم رضاه بما هو فيه ويبن أيضا مدى فضـــل الله ســبحانه وكرمه وسعة رحمته.

فيذكر رجلا ممن أخرجتهم الملائكة من النار بل هـــو آخرهـــم فيدعو الله عز وجل بأن يبعده عن النار وأن يصرف وجهه عنـــها لأن حرها يحيها لهيبها قد أحرقه وأهلكه فيطلب البعد عن النار فقط فيقــول المولى عز وجل له وهو أعلم به هل هذا طلبك فقط ولا تطلـــب شــيئا بعده فيقسم على ذلك وأنه لا يريد غير ذلك ويأخذ عليه عـــهدا وميثاقـــا

على ذلك وعندما يستجب الله له يطلب المزيد فيقول يا رب قربنى عند باب الجنة فتقول له الملائكة ألم تعطى العهود والمواثيق على عدم طلب المزيد فيقول فى مذلة يا رب لا تجعلنى أشقى خلقك فيأخذ عليه عهدا وميثاقا بعدم طلب المزيد ويستجاب له فإذا رأى الجنة وما فيها من النعيم يقول يا رب أدخلنى الجنة فيبين الله له أمر أبن آدم لا يرضى أبدا ولا يلتزم بعهد ولا ميثاق ولكن الله سبحانه وتعالى هو الكريم ويحب من يطمع فى كرمه ورحمته ويقول ابن آدم قوله السابق لا تجعلنى أشقى خلقك ليستدر عطف الله وعندئذ يضحك الله من قوله وضحك الله هنا معناه علمه ورضاه بقول عبده وأجابته له.

ثم يأمر المولى عز وجل به فيدخله الجنة ولا يقف فضل الله سبحانه وتعالى عند هذا الحد بل يقول لعبده تمنى وأطلب ما تشاء من الجنة من قصور وحور عين ونعمة وكل وسائل السعادة فيطلب ما يعتقد أنه كثير وصعب المنال ولكن رحمة الله أوسع وكرمه أجزل فيعطيه ما تمنى ومثله إلى عشرة أمثاله حتى لا يصدق العبد نفسه من عظيم فضل الله وكرمه.

المباحث الفقهية

وفيه فضيلة الإيمان لأنه لما تلبس به المنافق ظاهرا بقيت عليه حرمته إلى أن وقع التمييز بإطفاء النور وغير ذلك، وأن الصراط مع دقته وحدته يسع جميع المخلوقين منذ آدم إلى قيام الساعة.

وفيه أن النار مع عظمها وشدتها لا تتجاوز الحد الذى أمرت بإحراقه، والآدمى مع حقارة جرمه يقدم على المخالفة ففيه معنىً شديد من التوبيخ وهو كقوله تعالى فى وصف الملائكة (غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [1]، وفيه إشارة إلى توبيخ الطغاة والعصاة، وفيه فضل الدعاء وقوة الرجاء فى إجابة الدعوة ولو لم يكن الداعى أهلا لذلك فى ظاهر الحكم لكن فضل الله الكريم واسع.

وفى قوله فى آخره فى بعض طرقه "ما أغدرك" إشارة إلى أن التشخيص لا يوصف بالفعل الذميم إلا بعد أن يتكرر ذلك منه.

وفيه إطلاق اليوم على جزء منه لأن يوم القيامة فى الأصل يوم واحد وقد أطلق اسم اليوم على كثير من أجزائه.

وفيه جواز سؤال الشفاعة خلافا لمن منع محتجا بأنها لا تكون إلا لمذنب.

قال عياض: وفات هذا القائل أنها قد تقع فى دخول الجنة بغير حساب وغير ذلك كما تقدم [illegible]، مع أن كل عاقل معترف بالتقصير

---

(1) [illegible].

فيحتاج إلى طلب العفو عن تقصيره، وكذا كل عامل يخشى أن لا يقبل عمله فيحتاج إلى الشفاعة فى قبوله. قال: ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة ولا بالرحمة وهو خلاف ما درج عليه السلف فى أدعيتهم.

وفى الحديث أيضا تكليف ما لا يطلق لأن المنافقين يؤمرون بالسجود وقد منعوا منه، كذا قيل وفيه لأن الأمر حينئذ للتعجيز والتبكيت.

وفيه إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة، قال الطيبى: وقول من أثبت الرؤية وكل علم حقيقتها إلى الله فهو الحق، وكذا قول من فسر الإتيان بالتجلى هو الحق لأن ذلك قد تقدمه قوله "هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر" وزيد فى تقرير ذلك وتأكيده وكل ذلك يدفع المجاز عنه والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث

١- رؤية الله سبحانه وتعالى واقعة للمؤمنين فى الآخرة.

٢- جواز التشبيه وحزب الأمثال لتوضيح الصورة ولبيان المعنى.

٣- أن يوم القيامة تتكشف فيه الآلهة المزيفة التى عبدها المشركون من دون الله عز وجل.

٤- أن الصراط سيكون فوق جهنم المؤمن يجتازه بسرعة والكافر يسقط فوقه والعاصى يعذب فى النار إلى أن تأتيه رحمة الله.

٥- أن النار لا تأكل مواضع السجود من الإنسان.

٦- يبين لنا مدى طمع الإنسان وعدم رضاه بما هو فيه وعد التزامه بالعهود والمواثيق.

٧- يبين سعة فضل الله وكرمه ورحمته وصبره على خلقه وأن يضاعف له أمانيهم بعد معرفته لهم.

الحديث الرابع عشر

أولا : رواية البخارى

١١٦- حدثنا إسماعيل قال حدثنى مالك عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا - أو الحياة ، شك مالك - فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية » . قال وهيب حدثنا عمرو « الحياة » . وقال « خردل من خير »[١] .

---

[١] خ/ك/ الإيمان، ب/ تفاضل أهل الإيمان فى الأعمال.

ثانيا : رواية مسلم

١١٦ – وحدثنى هارون بن سعيد الأيلى حدثنا ابن وهب قال أخبرنى مالك بن أنس عن عمرو بن يحيى بن عمارة قال حدثنى أبى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار ثم يقول انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه . فيخرجون منها حمما قد امتحشوا . فيلقون فى نهر الحيه أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية »[1].

(١)

الراوى الأعلى

أبى سعيد الخدرى ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص ٣٤١

معانى المفردات

الحبة: أى كنبات بذر العشب والمراد البقلة الحمقاء لأنها تنبت سريعا واطبة بالكسر بزور الصحراء مما ليس بقوت.

صفراء: تسر الناظر.

ملتوية: منعطفة منثنية وهذا مما يزيد الرياحين حسنا باهتزازه وتميله فالتشبيه من حيث الإسراع والحسن.

مثقال: المثقال واحد مثاقيل الذهب ومثقايل الشىء ميزانه من مثله وهو الوزن الخفيف والشىء القليل فميزان الذهب يكون دقيقا بحسب الجزء من الجراح والمثقال واحد هذه الأوزان.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يتعلق بموضوع الحديث السابق والسنة من رواية صحابى آخر وفيه زيارات مهمة لأنه يبين أن نصارى اليوم الذين يقولون بالتثليث بألوهية عيسى أوانه ابن الله فهم كفار وكذلك اليهود الذين يقولون بأن عزيرا ابن الله فهم كفار أيضا ولا يعدون ضمن أهل الكتاب فيوم القيامة ينادى مناد من قبل الله من كان يعبد غير الله فليتبعه فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل الهة من آلهتهم ثم يأمر الله بجهنم فتحضر وكأنها سراب يراه هؤلاء الكفار ماءا ومن شدة عطشهم يطلبون أن يسقوا عندما يرون هذا السراب.

ولكن الله سبحانه وتعالى يقيم عليهم الحجة ويسأل اليهود أولا ما كنتم يعبدون فيقولون عزيزا ابن الله فكيف بهم لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن الصاحبة والولد فيطلبون أن يسقوا فيقول المولى لهم أشربوا فيتساقطون فى جهنم ويقال للنصارى مثل ما قيل لليهود فيقولون كنا نعبد المسيح ابن الله فيكذبهم لأن الله ليس له صاحبة ولا ولد فيطلبون أن يسقوا فيقول لهم اشربوا فيتساقطون فى جهنم.

وفى هذه إشارة الى عقيدتهم كانت غير صحيحة وأنهم لا يرون الحقيقة فعقيدتهم مثل السراب ولذلك ألقوا بأنفسهم فى جهنم فى الآخرة ظنا بأن السراب ماء.

كما جاءوا في الدنيا وعبدوا عزيرا وعيسى.

ويبقى من كان يعبد الله سواء كل برا أو فاجرا المهم أنه كـان لا يشرك بالله وينتظرون إلى أن يأتيهم الله سبحانه وتعالى وأول من يتكلم إلى الله الأنبياء ثم يقولون للخلق هل تعرفون خالقكم فيقولون نعم هناك آية وعلامة هى الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن.

وساق الله كما فسرها ابن عباس عبارة عن الشدة والأمر المهول كما تقول العرب قامت الحرب على ساق وأصله أن الإنسان إذا وقع فى أمر شديد شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به.

وقال القاضى عياض المراد بالساق هنا نور عظيمة وقال أيضا قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمن من ظهور جماعة الملائكة على خلقه عظيمة لأنه يقال ساق من الناس.

وقيل معناه كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم فتطمئن نفوسهم عند ذلك وعند رؤية الساق يسجد المؤمن من الله فيتجلى عليه بالرؤية وأما المنافق فلا يستطيع السجود ويتصلب ظهره كأنه قطعة واحدة ويحرم من رؤية الله عز وجل فى الآخرة.

ثم ينصب الصراط فالمؤمن يعبر بسرعة على حسب درجة عملهم فمنهم من يكون فى سرعة البرق ومنهم يكون فى سرعة الريح ومنهم من يكون فى سرعة [illegible] الجيدة ومنهم يكون سرعة الإبل ومن

أبطأ به عمله يكونون أصنافا فمنهم الممزق ومنهم المصروع فى النار ومنهم يسحب فى النار على وجهه سحبا.

وفى هذا الموقف ينكشف الناس ويتضح المؤمن من المنافق فينظر المؤمنون إلى أناس كانوا يظنون أنهم معهم وكانوا يصلون معهم فى الدنيا ولكن فى الآخرة يتضح أنهم كانوا يصلون رياء وكانوا يتظاهرون بالعبادة وقلوبهم خربة فى الدنيا .

وفى هذا اليوم يتجلى الله على خلقه برحمته وفضله فيقول الملائكة أخرجوا من النار من كان فى قلبه قدر دينار من إيمان فى الدنيا فتذهب الملائكة فتجد الناس فى النار درجات منهم من غاب فيها كاملا ومن منهم من غاب إلى قدمه ومنهم من غاب إلى نصف ساقه.

ولكن رحمة الله أعم وأشمل فيأمر الملائكة بإخراج من كان فى قلبه مقدار نصف الدينار فى الجنة ثم من كان فى قلبه مقدار ذرة وأقل من الذرة وهو مثقال فيخرجون من النار ويتشفع الخلائق والأنبياء والملائكة فيشفعون ثم تأتى رحمة الله فيقول الجبار بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار ويدخلهم الجنة ويكونوا فى الجنة لهم علامة فأجسامهم كاللؤلؤ وفى رقابهم الخواتيم والحلى والأحجار الكريمة ويعرفون بأنهم عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فى الدنيا.

ما يستفاد منه الحديث

١- أن رؤية الله سبحانه وتعالى فى الآخرة خاصة للمؤمنين الموحدين.

٢- أن النصارى الذين يقولون بالتثليث أو أن عيسى ابن الله فهم كفار.

٣- أن اليهود الذين يقولون عزير ابن الله فهم كفار.

٤- أن المشركين والكفار والمنحرفين اختاروا طريقهم بأنفسهم فهم يكذبون الكذبة ويصدقوها.

٥- أن يوم القيامة يسجد المؤمن لله وينكشف المنافق فلا يستطيع السجود فينكشف سره ويحرم من رؤية الله.

٦- من رحمة الله أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان.

٧- أن دخول الجنة بفضل الله ورحمة وأن الله يشفع بعض خلقه من المؤمنين والملائكة والأنبياء فى عصاه المؤمنين ثم يدخل مجموعة الجنة يطلق عليهم عتقاء الرحمن.

الحديث الخامس عشر

أولاً : رواية البخارى

١١٧ - حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيده عن عبد الله - رضى الله عنه - قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار كبوا ، فيقول الله اذهب فادخل الجنة . فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى . فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى ، فيقول اذهب فادخل الجنة . فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى . فيقول يا رب وجدتها ملأى ، فيقول اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا . فيقول تسخر منى ، أو تضحك منى وأنت الملك » . فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه . وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة[1] .

---

[1] خ/ك الرقاق، ب/ صفة الجنة والنار

ثانيا : رواية مسلم

١١٧- حدثنا عثمان بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم الحنظلى كلاهما عن جرير قال عثمان حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن عبيده عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى . فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة - قال - فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك عشرة أمثال الدنيا - قال - فيقول أتسخر بى - أو أتضحك بى - وأنت الملك » قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه . قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة[1] .

---

(١) [illegible]

الراوي الأعلى

عبد الله بن مسعود ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص ٣٤

معاني المفردات

كبوا: كبايكبو كبوا وكبوا: انسكب على وجهه.

نواجذه: الناجذ آخر الأضراس وللإنسان أربعة نواجـــذ فـــي أقصـــى الإنسان بعد الإرجاء ويسمى خرس الحلم لأنه ينبت بعد البلـوغ وكما العقل بقاء ضحك حتى بدت نواجذه إذا استغرب فيه.

المعنى العام

هذا الحديث الشريف يبين لنا و يثبت الشفاعة فى الآخرة وهذا الموضوع فيه خلاف وجدل كبير ولكن الذين جادلوا وخالفوا خرجوا عن دائرة الصواب وحملوه النصوص معان غير معانيها.

فجهود العلماء من أهل السنة والجماعة على أن الشفاعة جائزة عقلا وواجبه سمعا بنص القرآن قال تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا﴾[1] وقوله ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[2] وكذلك الأحاديث المتوارثة التى جاءت تبين الشفاعة.

ولكن الخوارج وبعض المعتزلة أنكر الشفاعة مستدلين بقول تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾[3] وبقوله ﴿وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[4]

وهؤلاء المانعون للشفاعة استدلوا بآيات فى غير موضوعها فالآيات نزلت فى الكافرين والكافر لا شفاعة له ولكن الشفاعة هى لعصاه الموحدين وهذا لا يختلف عليه أحد وهو الصواب بل الأكثر من ذلك وجدنا فى وقتنا الحاضر من ينكر الشفاعة وخاصة لسيدنا رسول الله ﷺ وهى ثابتة بالقرآن الكريم وبصحيح السنة النبوية .

---

[1] سورة طه الآية: ١٠٩.

[2] سورة الأنبياء الآية: ٢٨.

[3] سورة المدثر ٤٨.

[4] سورة غافر ١٨.

وحجتهم أن الشفاعة تعطل العمل وتجعل الناس يعتمدوا عليها ولا يعلمون وهؤلاء يدخول الجنة أولا بفضل الله ثم أن الشفاعة تكون للعصاه بدخول الجنة وللعاملين برفع درجاتهم فى الجنة وبإدخال أناس الجنة بغير حساب وبإزاحة الناس من هول الموقف والحاسب فالشفاعة أقسام والكل محتاج إليها المؤمن والعاصى.

وهذا الحديث الذى يبين فيه سيدنا رسول الله ﷺ أن بعد الحساب ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأمر الله الملائكة بأن تخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فيخرج عصاه الموحدين من النار ويشفع الصالحون والشهداء والأنبياء والملائكة فتقبل شفاعتهم ثم يشفع المولى عز وجل فيدخل الجنة أناسا يطلق عليهم عتقاء الرحمن بعد أن يكونوا احترقوا فى النار ولكن الله يلقيهم فى نهر الحياة فيعودون كما كانوا ويضرب الله المثل لذلك بأنهم يعودون إلى الحياة وتتكون أجسامهم من جديد كما تتكون الحبة التى كانت نباتا ثم ينبت ثم يوضع عليها الماء فتنبت من جديد وتعود خضراء كما كانت نباتا من قبل.

وفى هذا بيات لقدرة الله عز وجل وفضله ولعدم الأعذار برحمة الله وترك العمل فالعاصى وإن دخل الجنة لكنه بعد أن يضرب فى النار وإذا دخل الجنة لا يكون فى منزلة المؤمن الطائع ولا فى درجته الآن والجنة درجات.

ما يستفاد منه الحديث

١- إثبات الشفاعة للصالحين والأنبياء والملائكة ولنبينا الشفاعة العظمى ﷺ.

٢- إن المؤمن العاصى لا يخلد فى النار ما دام كان موحدا فى الدنيا وكذلك ابتاع الأنبياء السابقين طالما لم يشركوا.

٣- عدم الاعتذار وفهم الشفاعة على غير حقيقتها وترك العمل لأن المؤمن العاصى يضرب على ذنبه وتكون الشفاعة فى عدم خلوده فى النار أو تقليل مدة مكثه فى النار.

الحديث السادس عشر

أولا : رواية البخارى

١١٨- حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس - رضى الله عنه - قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا . فيأتون آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربنا . فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته ويقول - ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله . فيأتونه فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته - ائتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا . فيأتونه ، فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته - ائتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم ، فيذكر خطيئته - ائتوا عيسى فيأتونه فيقول لست هناكم ، ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فأستأذن على ربى ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعنى ما شاء الله ، ثم يقال ارفع رأسك ، سل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع . فأرفع رأسى ، فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ، ثم أشفع فيحد لى حدا . ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدا مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن » . وكان قتادة يقول عند هذا أى وجب عليه الخلود[1] .

---

[1] خ/ك / الرقاق، ب/ صفة الجنة والنار.

ثانيا : رواية مسلم

١١٨- حدثنا أبو كامل فضيل بن حسين الجدرى ومحمد بن عبيد الغبرى - واللفظ لأبى كامل - قالا حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك - وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك - فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا - قال - فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لست هناكم - فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها - ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله - قال - فيأتون نوحا صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم - فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها - ولكن ائتوا إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذى اتخذه الله خليلا . فيأتون ابراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها - ولكن ائتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذى كلمه الله وأعطاه التوراة . قال فيأتون موسى - عليه السلام - فيقول لست هناكم - ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها - ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته . فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم . ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما

تقدم من ذنبه وما تأخر » . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع . فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع . فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة قال - فأقول يا رب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود » . - قال ابن عبيد فى روايته قال قتادة أى وجب عليه الخلود(١)

الراوي الأعلى

أنس بن مالك رضي الله عنه

سبق ترجمته في الجزء الأول من فتح المنان ص ٢٩

معانى المفردات

لست هناكم: أى ليست فى المكان والمنزل الذى تحسبوننى يريد به مقام الشفاعة.

فيحد لى: أى يبين لى كل طور من أطوار الشفاعة.

استشفعنا: أى طلبنا من الرسل أن يشفعوا لنا عند خالقنا وأستشفعه إلى فلان سأله أن يشفع له إليه وتشفع إليه فى فلان فشغله فيه تشفيعا.

خطيئته: الخطأ ضد الصواب والخطأ الذنب والاسم الخطيئة ويجوز تشديدها والجمع خطايا والمخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره والخاطئ من تعمد مالا ينبغى وهذا المعنى المقصود فى حق الأنبياء عليهم السلام لأنهم معصومون من الوقوع فى المعصى.

خليلا: الخليل الصديق والأنثى خليلة والخل الود ومعناه أن الله سبحانه أنعم عليه بنعم كثيرة حيث جعل الأنبياء من ذريته وقربه إليه أكثر من غيره.

حبسه: الحبس المنع والحجز والوقف.

المعنى العام

يبين لنا الرسول ﷺ أن الله سبحانه وتعالى أطلقه على كثير من غيبة ومن هذا الغيب الجنة والنار وأحوالهما.

وفى هذا الحديث يؤكد لنا سيدنا رسول الله ﷺ علمه بآخر أهل النار خروجا منها وبالطبع سيكون آخر أهل الجنة دخولا فيها وهذا الرجل يخرج من النار كبوا أى ينكب على وجهه وهذه هى حالة من يخرج من المكان مسرعا غير مصدق لحاله فهو يهرول بلا تنظيم فتجده مره ينكب على وجهه ومرة يقوم مسرعا وهو تصوير دقيق لهذه الحالة النفسية التى يكون عليها من شدة فرح بخروجه من النار وعدم تصديقه لنجاته من عذاب الله ويزداد فرح هذا الرجل بأمر الله وتمام النعمة عليه بدخول الجنة وعندما يذهب إلى الجنة يخيل إليه أنا امتلأت وليس بها مكان وذلك من شدة فرح أهلها وتجولهم فيها فيرجع الرجل إلى ربه ويقول لقد وجدت الجنة قد امتلأت والرجل يكفيه أنه خرج من النار ولا يتصور أن الجنة جنان وليست جنة واحدة وأن الله سبحانه وتعالى يأمر الجنة بأن تمتد وتتسع بغير حساب كل ذلك لم يدر بخاطر الرجل من هول العذاب الذى شاهده فى النار.

ولكن الله يأمره بأن يعود ويدخله الجنة لأن أو فى أهل الجنة منزلة هو ما يكون له مثل عشرة أمثال ما لملوك الدنيا من النعيم والملك.

ويعود هذا الرجل ولا يتخيل هذا الفضل وهذا الكرم الذى فاق تمنيته فيقول الله سبحانه وتعالى أتسخر منى أو تضحك منى وأنت الملك.

وهذا القول من الرجل يبين مدى عدم استيعابه لفضل الله وكرمه الزائد على حد كعادة أهل الدنيا عندما يعدهم أحد بما لا يصدقون يعتمدون سخرية بهم ولكن الرجل يعلم أن الله هو الملك والقادر المقتدر فى هذا اليوم فلا ملوك فى هذا الموقف غيره سبحانه وتعالى فالرجل يستكثر على نفسه فضل الله ولكنه يقر بقدرته وحده سبحانه وتعالى فى هذا الوقت.

وعندما روى الرسول ﷺ هذا الحديث لا صحابة ضحك حتى ظهرت أنيابه وقيل أحز اسه وهو كناية عن شدة ضحكه من حال الله ثم تصديقه لهذه المكانة والمنزلة التى أنزله الله فيها ويبن لنا الرسول ﷺ أن هذا هو أدنى وأقل أهل الجنة منزلة فما بالك بمن أدرك الفردوس الأعلى ومن أدرك جنة عدن.

وكان رواه هذا الحديث يضحكون عند الانتهاء من روايتة كما فعل الرسول ﷺ وعندما يسألون عن ذلك يقولون لقد ضحك رسول ﷺ عند نهاية رواية هذا الحديث وهذا الحديث يعد مسلسلا بالضحك لأن رواته تتابعوا على حالة واحدة عند روايته.

وقد جاء في بعض الأحاديث أن أخر الجنة دخولا رجل يقال له جنتين وعندما يعلم أهل الجزاء بدخوله يقولون (وعند جهنم الخبر اليقين)[1]

---

[1] الجمع بين الصحيحين للسوطى ١/١٠.

ما يستفاد من الحديث

١- أن الله سبحانه وتعالى أطلع سيدنا محمد ﷺ على بعض الغيب فعرف حال أهل الجنة والنار.

٢- فضل الله وكرمه لعباده بأكثر مما يدور فى عقولهم أو يتصوره فهما تمنوا فضل الله أكثر بكثير.

٣- رحمة الله سبحانه وتعالى ورحمة رسول الله ﷺ حيث يقبلون قول العباد فى حالة الفزع وعدم التصديق ويرضون به ويتجاوبون عن هذا القول.

الحديث السابع عشر

أولا : رواية البخارى

١١٩- حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى قال اجتمعنا ناس من أهل البصرة فذهبنا إلى أنس بن مالك وذهبنا معنا بثابت إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو فى قصره فوافقناه يصلى الضحى ، فاستأذنا ، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه فقلنا لثابت لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة فقال يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة . فقال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك . فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله . فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته . فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأقول أنا لها . فأستأذن على ربى فيؤذن لى ويلهمنى محامد أحمده بها لا تحضرنى الآن ، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط . واشفع تشفع . فأقول يا رب أمتى أمتى . فيقال انطلق فأخرج من كان فى قلبه مثقال شعيرة من إيمان . فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد . ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل

يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول يا رب أمتى أمتى . فيقال انطلق فأخرج منها من كان فى قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان . فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع . فأقول يا رب أمتى أمتى . فيقول انطلق فأخرج من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان ، فأخرجه من النار . فأنطلق فأفعل » . فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا لو مررنا بالحسن وهو متوار فى منزل أبى خليفة فحدثنا بما حدثنا أنس بن مالك ، فأتيناه فسلمنا عليه فأذن لنا فقلنا له يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك فلم نر مثل ما حدثنا فى الشفاعة ، فقال هيه ، فحدثناه بالحديث فانتهى إلى هذا الموضع فقال هيه ، فقلنا لم يزد لنا على هذا . فقال لقد حدثنى وهو جميع منذ عشرين سنة فلا أدرى أنسى أم كره أن تتكلوا . قلنا يا أبا سعيد فحدثنا ، فضحك وقال خلق الإنسان عجولا ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم حدثنى كما حدثكم به قال « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك ، ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع . فأقول يا رب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله . فيقول وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[1] .

---

[1] خ/ك/ التوحيد، ب/ كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

ثانيا : رواية مسلم

١١٩ – حدثنا أبو الربيع العتكى حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى ح وحدثناه سعيد بن منصور – واللفظ له – حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى قال انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلى الضحى فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتا معه على سريره فقال له يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة . قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له اشفع لذريتك . فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم – عليه السلام – فإنه خليل الله . فيأتون إبراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى – عليه السلام – فإنه كليم الله . فيؤتى موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى – عليه السلام – فإنه روح الله وكلمته . فيؤتى عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فأوتى فأقول أنا لها . فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول رب أمتى أمتى . فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بره أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها . فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع . فأقول أمتى أمتى . فيقال لى انطلق فمن كان فى

قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها . فأنطلق فأفعل ثــم أعود إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقــال لــى يــا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتى أمتى . فيقال لى انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى أدنــى مــن مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فــأفعل » . هذا حديث أنس الذى أنبأنا به فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبــان قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف فى دار أبى خليفــة - قال - فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبى حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه فى الشفاعة قال هيه . فحدثناه الحديث . فقال هيه . قلنا ما زادنا . قال قد حدثنا به منذ عشرين سـنة وهو يومئذ جميع ولقد ترك شيئا ما أدرى أنسى الشــيخ أو كـره أن يحدثكم فتتكلوا . قلنا له حدثنا . فضحك وقال خلق الإنسان من عجــل ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه « ثم أرجع إلى ربى فــى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفـع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع . فأقول يا رب ائذن لــى فيمن قال لا إله إلا الله . قال ليس ذاك لك - أو قال ليس ذاك إليـك - ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبر يائىَ لأخرجن من قال لا إله إلا الله » . قال فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مــالك أراه قال قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع[1] .

---

[1] أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب (٨٢).

الراوي الأعلى

أنس بن مالك ﷺ

سبق ترجمته فى الجزء الأول من فتح المنان ص ٢٩

معاني المفردات

لست لها: أي ليست لي هذه المرتبة.

خردلـــــة: الخردل نبات معروف الواحدة خردلة وهو نبـــات صغـــير الحجم جدا.

شعيرة : الشعيرة واحدة الشعر فهي حبة من الشعير.

المحامد: الإكثار من كلمات الحمد والثناء والدعاء والذكـــر لله تعـــالى والحمد أعم من الشكر.

المعنى العام

يبين لنا الرسول ﷺ أنه صاحب الشفاعة العظمى والمكان الرفيع فى الدنيا والآخرة وهذا الحديث الذى بين أيدينا يؤكد ذلك وكنت أرى أن يكون هذا الحديث وما تبعه من روايات أن يكون تحت باب إثبات الشفاعة إلى سيدنا رسول الله ﷺ ولكن الإمام البخارى جعله فى كتاب الرقاق باب "صفة الجنة والنار" ولإمام مسلم جعله فى كتاب الإيمان باب "أدنى أهل الجنة منزلة فيها" وهما رحمهما الله أصح منى وأبعد نظرا ولكن هذا رأى أردت فقط أن أعبر عنه.

وهذا الحديث يبين لنا هول الموقف يوم القيامة حتى أن الناس يتمنون الانصراف ولو إلى النار.

وفى هذا الموقف يحاول الناس الخروج منه ويفكرون فى سبيل لخروجهم مما هم فيه فيقولون نشفع على ربنا حتى يرضا مما تخشى فيه فيظنون أن آدم صاحب الشفاعة فى هذا الموقف فيذهبون إليه ويذكرون فضل الله عليه بأنه أبو البشر وأن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة بالسجود له ويطلبون منه أن يشفع لهم عند ربهم فيخبرهم أنه ليس صاحب الشفاعة فى هذا المكان والزمان وليس المقصود بهذا الأمر وذلك لعلمه بصاحب الشفاعة العظمى فى هذا اليوم وهو سيدنا رسول الله ﷺ وقد تشفع آدم به قبل خلقه عندما وجد أنه مقرونا باسم الله على باب الجنة.

ويذكر للعباد ذنبه ويخبرهم بالإتيان إلى نوح عليه السلام وهـو يعلم أن سيدنا رسول الله ﷺ هو صاحب الشفاعة ولكن ليتأكد لجميـع أصحاب المحشر بأن هذا المقام هو مقام سيدنا محمد ﷺ وذلك بـإقرار جميع الأنبياء والمرسلين.

ويخبرهم نوح بمثل قول آدم ويذكر ذنبه ويأمرهم بالتوجه إلـى إبراهيم عليهم السلام فيخبرهم مثل قول نوح وآدم يذكر لهم ذنبه الـذى يمنعه الشفاعة لغيره.

ويأمرهم بالذهاب من طلب الشفاعة لغيره.

ويأمرهم بالذهاب إلى موسى عليه السلام فيذهب إليه ويذكرونـه بمنزلته من الله فهو كليم الله كما فعلو أقبل وقالوا لإبراهيم أنت خيـل الله فيقول له مثل قول ما سبقوه من الأنبياء ويذكر لهم ذنبه الذى يمنعه مـن طلب الشفاعة لغيره ويأمرهم بالذهاب إلى عيسى عليه السلام فيخـبرهم بأنه ليس صاحب هذا المقام ولم يذكر له خطيئة تمنعه من طلب الشفاعة ولكن يبين لهم السبب الأساسى وهو أن الرسول ﷺ هو المختص بهذا المقام فى هذا الزمان والمكان وفى هذا إشارة واضحة إلى تنزيه الإسلام عن المساس بالأنبياء السابقين فلم يذكر معصية لعيسى عليـه السـلام كباقى من سبقوه ولكن الإسلام يذكر الحقائق فقط دون مزايدة وهـذا أن دل على التزام الصحابة ورواه الحديث رضوان الله عليـهم وصدقـهم وعدم زيادتهم على ما سمعوه من رسول الله ﷺ بغض النظـر عـن

الاختلاف فى الدين أو الخوض فى اتباع الأمم السابقة والتحريف فـــى كتبهم المقدسة أو وحيهم بما يساعد على نشر دينهم ولو كان كذباً.

وفى اختصاص هؤلاء الأنبياء بـــالذكر دون غـيرهم نجـد أن الحديث اشتمل على سيدنا آدم أبو البشر وقد يظن البعض أنه أفضلهم ثم باقى الأنبياء من أولى العزم وهم أفضل الرسل وأعلاهم فإن كان الأمـر كذلك فباقى الرسل يمنعون من الشفاعة من باب أولى ولبيـان مرتبـة سيدنا رسول الله التى فاقت جميع الأنبياء والرسل والخلق أجمعين مـن انس وجن وملائكة.

فيذهب الخلق إلى سيدنا رسول الله ﷺ ويذكرون بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وفى هذا المقام أحب أن أبين أنه ليس لسـيدنا رسول الله ﷺ ذنوبا ولكنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربيـن فنظرا لمنزلة التى فاقت جميع الخلق فمهما عمل من عباده لا تنـاسـب فضل الله عليه وإكراما له، ولأمته والموحدين من الأمم السابقة.

ولا يمنع من الشفاعة إلا من أشرك بالله كما نص القرآن علـــى ذلك.

المباحث الفقهية

قال عياض: استدل بهذا الحديث من جوز الخطايا على الأنبيـاء كقول كل من ذكر فيه ما ذكر، وأجاب عن أصل المسألة بأنه لا خـلاف فى عصمتهم من الكفر بعد النبوة وكذا قبلها على الصحيح، وكذا القـول فى الكبيرة على التفصيل المذكور، ويلتحق بها ما يزرى بفاعلـه مـن الصغائر، وكذا القول فى كل ما يقدح فى الإبلاغ مـن جهـة القـول، واختلفوا فى الفعل فمنعه حتى فى النسيان، وأجاز الجمهور السهو لكـن لا يحصل التمادى، واختلفوا فيما عدا ذلك كله مـن الصغـائر فذهـب جماعة من أهل النظر إلى عصمتهم منها مطلقـا، وأولـوا الأحـاديث والآيات الواردة فى ذلك بضروب من التأويل، ومـن جملـة ذلـك أن الصادر عنهم إما أن يكون بتأويل من بعضهم أو بسهو أو بإذن، لكـن خشوا أن لا يكون ذلك موافقا لمقامهم فأشفقوا من المؤاخذة أو المعاتبـة، قال: وهذا أرجح المقالات، وليس هـو مذهـب المعتزلـة وإن قـالوا بعصمتهم مطلقا لأن مذهبهم فى ذلك التكفير بالذنوب مطلقا ولا يجـوز على النبى الكفر، ومذهبنا أن أمة النبى مأمورة بالاقتداء به فى أفعالـه فلو جاز منه وقوع المعصية للزم الشئ الواحد والنهى عنه فى حالـة واحدة وهو باطل.

ثم قال عياض: وجميع ما ذكر فى حديث الباب لا يخرج عمـا قلناه لأن أكل آدم من الشجرة كان عن سهو. وطلب نوح نجاة ولده كان

عن تأويل، ومقالات إبراهيم كانت معاريض وأراد بها الخير، وقتيل موسى كان كافرا كما تقدم بسط ذلك والله أعلم.

وفيه جواز إطلاق الغضب على الله والمراد به ما يظهر من انتقامه ممن عصاه. وما يشاهده أهل الموقف من الأهوال التى لم يكن مثالها ولا يكون، كذا قرره النووى.

وقال غيره المراد بالغضب لازمه وهو إرادة إيصال السوء للبعض، وقول آدم ومن بعده نفسى نفسى نفسى" أى نفسى هى التى تستحق أن يشفع لى. لأن المبتدأ والخبر إذا كانا متحدين فالمراد به بعض اللوازم، ويحتمل أن يكون أحدهما محذوفا.

وفيه تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق لأن الرسل والأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم. وقد ظهر فضله فى هذا المقام عليهم، قال القرطبى: ولو لم يكن فى ذلك إلا الفرق بين من يقول نفسى نفسى وبين من يقول أمتى أمتى لكان كافيا، وفيه تفضيل الأنبياء المذكورين فيه على من لم يذكر فيه لتأهلهم لذلك المقام العظيم دون من سواهم، وقد قيل إنما اختص المذكورون بذلك لمزايا أخرى لا تتعلق بالتفصيل، فآدم لكونه والد الجميع، ونوح لكونه الأب الثانى، وإبراهيم للأمر باتباع ملته، وموسى لأنه أكثر الأنبياء تبعا وعيسى لأنه أولى الناس بنبينا محمد ﷺ كما ثبت فى الحديث الصحيح.

ويحتمل أن يكونوا اختصوا بذلك لأنهم أصحاب شرائع عمل بها من بين من ذكر أولا ومن بعده.

وفى الحديث من الفوائد غير ما ذكر أن من طلب من كبير أمرا مهما أن يقدم بين يدى سؤاله وصف المسئول بأحسن صفاته وأشرف مزاياه ليكون ذلك أدعى لإجابته لسؤاله، وفيه أن المسئول إذا لم يقدر على تحصيل ما سئل يعتذر بما يقبل منه ويدل على من يظن أنه يكمل فى القيام بذلك فالدال على الخير كفاعله، وأنه يثنى على المدلول عليه بأوصافه المقتضية لأهليته ويكون أدعى لقبول عذره فى الامتناع، وفيه استعمال ظرف المكان فى الزمان لقوله لست هناكم لأن هنا ظرف مكان فاستعملت فى ظرف الزمان لأن المعنى لست فى ذلك المقام، كذا قاله بعض الأئمة وفيه نظر، وإنما هو ظرف مكان على بابه لكنه المعنوى لا الحسى، مع أنه يمكن حمله على الحسى لما تقدم من أنه ﷺ يباشر السؤال بعد أن يستأذن فى دخول الجنة، وعلى قوله من يفسر المقام المحمود بالقعود على العرش يتحقق ذلك أيضا.

وفيه العمل بالعام قبل البحث عن المخصص أخذا من قصة نوح فى طلبه نجاة ابنه، وقد يتمسك به من يرى بعكسه.

وفيه أن الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم فى الدنيا من التوسل إلى الله تعالى فى حوائجهم بأنبيائهم، والباعث على ذلك الإلهام كما تقدم فى صدر الحديث.

وفيه أنهم يستشير بعضهم بعضا ويجمعون على الشئ المطلوب وأنهم يغطى عنهم بعض ما علموه فى الدنيا لأن فى السائلين من سمع هذا الحديث ومع ذلك فلا يستحضر أحد منهم أن ذلك المقام يختص به نبينا ﷺ، إذ لو استحضروا ذلك لسألوه من أو وهله ولما احتاجوا إلى التردد من نبى إلى نبى، ولعل الله أنساهم ذلك للحكمة التى تترب عليه من إظهار فضل نبينا ﷺ كما تقدم تقريره.

ما يستفاد من الحديث

١- هول الموقف يوم القيامة حتى إن الناس ليتمنوا الانصراف ولو إلى النار.

٢- بيان فضل آدم عليه السلام وسيدنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وعليهم السلام على باقى الخلق.

٣- فضل سيدنا رسول الله واختصاصه بما لم يختص به نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا أحداً من الخلق كافة.

٤- أن الرسول ﷺ هو صاحب الشفاعة العظمى التى تشمل المؤمنين والموحدين من الأمم السابقة.

٥- أن الصحابة والرواة نقلوا إلينا الأحاديث كما سمعوها وحفظت سنة سيدنا رسول الله من التحريف أو الزيادة ولو كانت فى حق من يعادينا ويحاربنا يكذب علينا ويحرف فى كتبه المقدمة بسبب الحرب على الإسلام وعدم التصديق به فلم يفعل مثل فعلهم.

فهرس المراجع

م	المرجع	الطبعة
١	القرآن الكريم	
٢	إحياء علوم الدين	دار الاستقامة بالقاهرة
٣	أسد الغابة	لابن الأثير الجذري دار الشعب بيروت
٤	الإصابة في تمييز الصحابة	لابن حجر بيروت
٥	البخارى محدثاً وفقيهاً للدكتور/الحسينى هاشم	مطبعة الجمهورية بالزقازيق
٦	اللؤلؤ والمرجان	دار الحديث بالقاهرة
٧	المصباح المنير	المكتبة العلمية بيروت – لبنان
٨	المعجم الوجيز	مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٩	تاريخ الدولة العثمانية	بيروت
١٠	تاريخ بغداد	للخطيب البغدادى الخانجي القاهرة
١١	تدريب الرواى د/ أحمد عمر هاشم	دار الكتاب العربى بيروت
١٢	تذكرة الحفاظ	دار إحياء التراث العربى بيروت
١٣	ترجمة البخارى فى وفيات الأعيان لابن خلكان	دار صادر بيروت
١٤	ترجمة عمر في الاستيعاب	دار الكتاب العربى بيروت
١٥	تهذيب التهذيب لابن حجر	دار صادر بيروت
١٦	حاشية السندى	دار إحياء الكتب
١٧	دعائم الإسلام د/ أحمد عمر هاشم	دار الطباعة المحمدية

م	المرجع	الطبعة
١٨	ذاد المسلم	دار الفكر
١٩	زبدة التفسير من فتح التقدير	شرح الحافظ لجلال الدين السيوطى حاشية السندس بيروت
٢٠	سنن النسائي	للشيخ الأرناؤط دار الرسالة
٢١	شذرات الذهب	دار المعرفة بيروت
٢٢	صحيح البخاري	دار المعرفة بيروت
٢٣	طبقات الشفاعية للسبكى	للإمام أبى بكر بن هداية الله الحسينى ببغداد
٢٤	طرق تخريج حديث رسول الله	دار الاعتصام
٢٥	عمدة القارى	دار الفكر
٢٦	فتح البارى فى شرح صحيح البخاري	دار المعرفة بيروت
٢٧	كشف اللثام عن أسوار تخريج حديث سيد الأمام	مكتبة الأزهر للطباعة و النشر
	مختار الصحاح	مكتبة لبنان
٢٩	مـ شرح النووى	المطبعة المصرية ومكتباتها بالقاهرة
٣٠	معجم البلدان	دار بيروت للطباعة
٣١	مقدمة صحيح مسلم	دار المكتبة العلمية بيروت
٣٢	مقدمة فتح البارى وحاشية السندى والطبقات الكبرى لإبن السبكى	دار لإحياء الكتب العربى